السنة العاشرة العدد ١٦ ١٥ آب سنة ١٩٠٧

المشرق

المناهج في وصف المباهج

لحضرة القس الفاضل جرجس منش الماروني الحلبي

هو كتاب خطير الشان . باهر البيان . أطنب فيهِ مؤلفهُ واسهب . واعجب واغرب . واطلق اعنَّة الاقلام . وجرَّ اذيال الكلام . واستطرد من فنون الى فنون . فلم يدع في كثيرٍ من الحقائق مجالًا للظنون . بسط فيهِ من الالهيات ما يتعلَّق بعالم السموات . ومن الطبيعيَّات ما يلحق بعالم الارض والحيوان والنباتات . ومن الادبيات ما يتَّصل بالاشعار والامثال والفكاهات . وضمَّ اليهِ ما ورى زناد فكرهِ من الوجوه المعقولة . والتصرفات المقبولة . فجلا رَين الشك عن السريرة . وزاد في المعارف بسطةً وبصيرة

ولكونهِ متبحرًا جال في ميدان فرسان الكلام . فاظهر مهارةً في المعارف حسبما يليق بالمقام . وكشف القناع تارةً عن وجوه محاسن الاشارة . وملح الاستعارة . وهتك الاستار اخرى عن اسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها . وترجمان القوى الناطقة وميزانها . فحلَّ ما اشكل على الانام . وذلَّل لهم صعب المرام . واورد في المباحث الدقيقة ما يُؤمن بهِ الشبه والضلَّة . واوضح لهُ مناهج الادلَّة . فكان كتابهُ « مباهج الفكر . ومناهج العبر » . وقف عليهِ صاحب المشرق الاغرّ فراقهُ ما فيهِ . فاوعز اليَّ ان اعرّف العلماء بفحاويهِ . فلبَّيتُ اشارته . وقضيت لبانته . واتسعت في الوصف على قصر الباع . ما شاء الاتساع . مجاريًا فيهِ مشاهير الكتَّاب . في مثل هذا الباب . تنويهاً بقدر الكتاب ومحسناتهِ . وتعريفًا بفضل واضعهِ وحسناتهِ

١ً في اسم الكتاب

لا عجب ان اضطرب الباحث في حقيقة عنوان الكتاب فان مؤلفهُ لا يذكر لهُ

اسماً يميزهُ بهِ عمّا سواهُ من الكتب في احدى مقدّماتهِ الاربع عليهِ فكأني بهِ شاء ان يجعلهُ غفلًا لا يُعرف ونكرة لا تتعرَّف وهو خليق بالتعريف جدير باحسن الاسماء واسماها .

ويزداد الباحث حيرةً حين يرى المطران بولس حكيم احد قرّاء الكتاب يسمّيهِ بالنزهة حيث خطَّ على اولهِ : « نزهة العيون في اربعة فنون » ومحشيه المجهول الزمان والمكان يدعوه « بالمباهج » حيث روى في آخر حاشية ص ٣٦٤ : « ونرجع من هاهنا الى تتمة المباهج » وفي حاشية ص٣٦٦ : « انتهى كلام النويري هاهنا ولنرجع الى كلام صاحب المباهج » وفي هذا كلهِ منتهى الاضطراب والاشكال كما هو ظاهر

على ان صاحب كشف الظنون الذي عليهِ المعوَّل في حلّ مثل هذا الاشكال يذكر من الاسم الاول (في جزء ٢ ص ٥٩٥ طبعة بولاق) : « نزهة عيون المشتاقين في النسب لابي الغنائم عبدالله بن حسن الزيدي . ونزهة العيون في معرفة الطوائف والقرون للملك الافضل عباس ابن الملك المجاهد صاحب اليمن . ونزهة العيون النواظر وتحفة القلوب والخواطر لعبدالله بن اسعد اليافعي اليمني اختصرهُ من روض الرياحين في حكايات الصالحين » . ولكن هذه الكتب ليست في شيء من غرض الكتاب وموضوعهِ وكنت اعول على مدافعة البغض عن المطران بدعوى ان صاحب الكشف سها عن الكتاب او لم يقف عليهِ لولا انها دعوى سلبية لا يؤيدها شيء من الاسناد الايجابيّة القديمة

واما الاسم الثاني فلا يذكر منهُ اي صاحب الكشف في جزء ٢ ص ٣٢٢ سوى : « مباهج الفكر ومناهج العبر » وفي ص ٥٣٤ : « مناهج الفكر ومباهج العبر » لمحمد ابن ابراهيم المصري في اربعة مجلدات وهو الاسم الحقيقي في غالب الظن . امّا اولًا فلانهُ اسم وافق مسماهُ ولفظ طابق معناهُ . واما ثانياً فلاتفاق صاحب الكشف والمحشي والناسخ عليهِ . واما ثالثاً فلانّ صاحب الكشف يذكر اجزاءهُ التي جزّأ المؤلف كتابهُ اليها ممّا يدل على انهُ رآهُ وطالعهُ وكل هذا ليس من الامور العرضية التي يسهل وقوعها (١

ومع ذلك فالاسم الذي اطلقهُ المطران على الكتاب ليس بمختلق وربما كان الاسم المتعارف بين العامّة وهذا قريب من التصديق وامثلتهُ كثيرة وربما رأى ناسخهُ يصفهُ

١) وزد عليهِ ان الاقسام المحفوظة من هذا الكتاب في مكاتب اوربّة موسومة بهذا الاسم (ل . ش)

بنزهة العيون على عادة النسّاخ فظنّهُ اسمهُ الحقيقي فاطلقهُ هو عليهِ وهذا اقرب الى حقيقة الواقع

٢ في مؤلف الكتاب

هو جمال الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محي بن عليّ الكتبي على رواية المطران السابق الذكر وهو جمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيي الانصاري المصريّ الكتبي الورّاق المعروف بالوطواط على رواية الحاج خليفة (١ في كشف الظنون (٢ : ٧٢ و ٥٣٤) ولا ريب ان كلّا منهما اعتمد في ايراد النسب على النسخة التي وقعت اليهِ من الكتاب لان المؤلف لا يذكر نسبهُ في احدى مقدماتهِ والظاهر ان المطران تصحّف عليهِ اسم يحيي بمحي وهو سهو الناسخ او من عدم وضوح الاسم

وقد خلط ادوار فانديك في كتابهِ اكتفاء القنوع (ص ٣٤٦ و ٣٥٦) بين صاحب الترجمة وبين رشيد الدين ابي اسحق ابراهيم الكتبي المعروف بالوطواط ايضًا المتوفى سنة ٥٧٣ على رواية كشف الظنون (٢ وذلك لبعض المشابهة في النسب وهذا من غريب الخلط بل من غرائب شوائب هذا الكتاب العديدة التي كدّرت مشرعهُ وذهبت بكثيرٍ من محاسنهِ

وهو مغربي المولد (٣ مصري الوطن والدار على ما يؤخذ من لفظهِ في آخر الباب الـ ٧ من الفن الثاني (ص ٣٥١) حيث روى : « قال المؤلف وانما اطنبت في ذكر هذين الصقعين مصر والاندلس دون ما عداهما من الاصقاع واثبت من وصفيهما مما (ما) يشترك في قبولهِ القلوب والاسماع لان في احدهما نبي (كذا) فرعي وفي الآخر ذكا اصلي وتفرق في مجموعهما اسوتي (اسرتي) واهلي » اه . قال احد محشي كتابهِ : « يستنبط منهُ ان المؤلف لهذا الكتاب الجليل مغربي المولد مصري المسكن فرحمهُ الله رحمةً واسعة »

---

١) وفي جزء ١ : ٤٨٨ يلقبهُ « رشيد الدين » وهو لقب الوطواط الآخر ولعلهُ سهو من صاحب الكشف

٢) وورد سنة ٥٧٨ في الاكتفاء وسنة ٥٥٢ في محل آخر من الكشف طبعة الاستانة وهي اردأ طبعاتهِ واكثرها نقصًا واغلاطًا

٣) كانت ولادتهُ سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) كما ورد في قائمة مطبوعات لندن (Suppl. p.508)

وذكر في الباب الـ ٦ من الفنّ الثاني وقعة ثغر دمياط ونصرة المسلمين على الافرنج واسر القديس لويس ملك فرنسة الى ان يقول في هذا الثغر: « ثم ان السلطان رأى المصلحة في هدمهِ فهدمهُ سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) وهو الان قرية فيها مساكن محكمة البناء لان سكانها مستوفزون يترقبون نزول الافرنج صباحاً ومساء لان ما لها صور (سور) يمنعهم » مما يؤخذ منهُ ان الكتاب الموصوف وضعهُ في عهد الزحفة الصليبيّة التاسعة (سنة ١٢٧٠ م)

وكان شاعرًا مجيدًا وكاتبًا بارعًا واديبًا فاضلًا وحكيماً ماهرًا وراويةً محققًا لا يجارى في عصرهِ ولا اعرف من تآليفهِ سوى مباهج الفكر ومناهج العبر المبحوث عنهُ (١. ومجموعة حواشيهِ على الكامل في التاريخ لابن الاثير الجزري. والدرر الغرر في شعراء الاندلس كأنهُ جعلهُ ذيلًا على كتاب شعراء الاندلس لابن العربي. وغرر الخصائص الواضحة والنقائص الفاضحة لخصهُ بعنوان « محاسن الغرر » وطبعت الاصل مطبعة بولاق سنة ١٢٨٤ و١٢٩٦ (١ عن جزء ٢ ص ١٥٤ و٢٥٧ و٣٧٢ و٣٨٨ و٥٣٤ من كشف الظنون وص ٣٤٦ من اكتفاء القنوع (٢

وكانت وفاتهُ سنة ٧١٨ هـ (٣ اي سنة ١٣١٥ م. وآسف شديد الاسف لاني لم اقف لهُ على غير ذلك من ترجمتهِ فيما لديَّ من الكتب الموضوعة في السير والطبقات والتواريخ

٣ً في نسخة الكتاب

هذه النسخة مجلدة بمجلد عليهِ اثر البلى من كثرة الاستعمال وهي تقع في نحو ٥٨٥ صفحة وكل صفحة ٣٠ سطرًا طولها ٢٧ سنتيمترًا في عرض ١٧ س بنيف والصفحة

---

١) وطبعتهُ المطبعة الشرفية بمصر طبعة اخرى سنة ١٢٩٩ (اذا لم تكن طبعة سنة ١٢٩٦ التي يذكرها صاحب الاكتفاء) وطابعها حماد الفيومي يروي نسب مؤلفهِ المترجم ويكنيهِ فيهِ «ابا اسحق» ويلقبهُ «برهان الدين» ولا ادري الى اي الاسناد يستند في روايتهِ

٢) ومماً يُنسب ايضاً الى جمال الدين الوطواط كتاب ابكار الافكار ذكرهُ الحاج خليفة (١: ٤٦١ من طبعة اكسفرد). وذكر ايضاً لهُ (٤: ٢٨٧) كتاب فتى الفتوَّة ومرآة المروَّة (ل. ش)

٣) لا سنة ٨١٧ كما ورد في جزء ١ ص ٤٨٨ من كشف الظنون ولا سنة ٧٢٨ كما ورد في طبعة اكسفرد (١: ٤٦١)

الاولى مزينة بنقوش والوان زاهية وموشاة بالذهب · ومن ص ٥٦ الى ٧٧ ومن ١١٨ الى ١٣٥ ساقط عدة صفحات أضيفت اليها بخط حديث يختلف عن بقيّة الكتاب ومن ص ٥٨١ الى آخره سقط ايضاً ثلاث او اربع صفحات ذهبت بشيء من الكتاب وبتعليقة الناسخ فلا يُعرف اسمهُ وزمانهُ ومكانهُ والغالب على الظن انهُ مصري من اهل القرن التاسع للهجرة لذكرهِ ابن رفاعة الآتي ذكرهُ

وهي مخطوطة بحبرين اسود واحمر على ورق صفيق متغيّر اللون مسّتهُ الرطوبة ولا يمرُّ عليهِ كثير من الايام حتى تودي بهِ · والخط في سائر الكتاب حسن سهل القراءة في الغالب ولكنهُ كثير الاغلاط النسخية ولا شك انها واردة من جهل الناسخ وسوء سمعهِ كما يظهر من اعتبار كيفية رسمهِ للحروف كما تقرأ لا كما تكتب كرسمهِ التنوين نوناً ساكنة مثل ماءن (ماء) ومدّهِ الالف المنقلبة عن ياء مثل رما (رمى) ورسمهِ الالف المقصورة ممدودة (١ مثل القهقرا (القهقرى) وتنقيطهِ الالف المقصورة كالياء مثل علي ويري (على ويرى) والحاقهِ واو العلّة بالف الاطلاق ابداً مثل يغدوا وارسطوا (يغدو وارسطوا) وهو غريب

والالفاظ كلها مضبوطة بالشكل على انهُ كثير الاغلاط الصرفيّة والنحويّة ومن غريبهِ رسمهُ المدّ على الف الجمع في مثل عوآند ومرآند وضبطهُ الاندُلس بضم الدال وكسر اللام والمشهور فيها فتح الدال وضم اللام · والظاهر ان في ضبطها لغتين اتبع الاولى منها الازدي في عنوان كتابهِ جذوة المقتبس في علماء الاندُلس واتبع الثانية ابن القات في كتابهِ ريحانة الانفس في علماء الاندَلُس وهي التي عليها صاحب القاموس واللسان فتدبّر

وفي صدر النسخة كراس حديث في الصفحة الاولى منهُ تعليق المطران بولس حكيم السابق ذكرها · وفي الصفحة الثانية وما بعدها فهرس ما في هذا الكتاب من الابواب لمقتنيه العلامة الشهير السيد جرمانوس فرحات وفي الصفحة الـ ١٧ « تقويم الفصول وطلوع الشمس والقمر وساعات الليل والنهار ومهاب الرياح على مقتضى الفصول الاربعة » بخط كاتب غفل

---

١) هذا مطروق عند خطاطي القدماء خوف التباس الالف بالياء

وفي الصفحة الاولى من اصل الكتاب هذه الفقرة: « باسمهِ سبحانهُ. ويكفيك قول الناس فيها حويتهُ. لقد كان هذا مرةً لفلانٍ. الفقير الحقير م» ويليها: « سنة ٣٥٣ [منذ] زمن وضع الكتاب في ٢٠٥ ورقة منهُ » اي من عهد الكاتب في منتهى القرن الحادي عشر للهجرة ويليها ما حرفهُ: « جرمانوس برحمة الله اسقف حلب (مكان الختم) اوقف هــذا الكتاب وقفاً مؤبدًا على كنيسة ماري الياس كنيسة الموارنة في حلب ومن يغيّرهُ عن الوقفيَّة باي ... يكن محروماً مقطوعاً من شركة المسيحيين والويل لهُ ان رضي بنفسهِ ذلك سنة ١٧٢٨ » وهي سنة ضمّــهِ هذه النسخة الجليلة الى مكتبة حلب المارونيَّة. وقد كانت ذهبت في جملة متروكات المطران يوسف مطر المتوفى سنة ١٨٨٢ فاعلن حضرة صاحب المشرق الاغر فقدها في رحلتــهِ الاخيرة الى حلب (المشرق ٨: ٩٢٨) فجرَّد سيادة راعينا الجليل المفضال المطران يوسف دياب عزيمتهُ الناهضة للبحث عنها وما زال ينشدها حتى عثر عليها واعادها الى المكتبة في السنة المنقضية فلسيادتهِ باسم الآداب جزيل الحمد والثناء (١

٤ في موضوع الكتاب

حان لي ان اعرّف القرّاء الادباء بموضوع الكتاب بل بمواضيعهِ التي يجعلهــا مدار ابحاثهِ العديدة وهي اربعة فنونٍ: الفنّ الأول في السماء وما أُودعت كواكبهــا الثابتة والسائرة من اسرار حكمةٍ تظل الافهام في مجاهل العرفان بها حائرة. (قال): ولم اعرج على شيءٍ مما ذكرهُ المنجمون من المواليد والاختبارات اذ هي عند ممتحنهــا ان تُصب تارات فتخطئ تارات املهم ان تكن نكتة ظلت لمنتقدٍ لها ضالَّة ينشدهــا او شذرة ندَّت عن اخواتها فالحرص على الحاقها بهنّ يرشدها. اه. عن مقدمتهِ على الفنّ الاول

والفنّ الثاني قد قصرهُ على ذكر الارض وما اشتمل عليهِ معمورها من الجبال والمعادن والبحار والانهار. (قال): واعرضت عن مساكن في طرفي المعمور يسكنها طوائف

---

١) ونُسخ هذا الكتاب عزيزة جدًّا يوجد منها اقسام غير كاملة في بعض المكاتب كلندن وبرلين وغوطا ومصر. ومنهُ نسخة كاملة في احدى مكاتب الاستانة العليــة. وكان المرحوم اريك فتو (E. Vitto) حصل منهُ على نسخة مخطوطة قديمة سقط من اوَّلها صفحة او صفحات وقد ذهبت مع تركتهِ الى ايطالية (ل. ش.)

من اولاد يافث واولاد حام. لان زائد (رائد) العقل بهرت عليه اساوها فما عرج عليها ولا حام. اه. عن مقدمته على الفن الثاني

والفن الثالث من الفنون التي دعت نفس المؤلف الى جمعها احاديث امانيها ولجأت الى الانقياد لوضعها من وساوس اغراض تعانيها. قصرهُ على ذكر الحيوان بجملة انواعه وما اشتمل عليه كل ذي روح من اخلاقه وطباعه. (قال): ولم التفت الى ما يحدث عن استعمال شيء منها من النفع والضرر ولا الى ما ذكرتهُ الاطباء من تشريح اعضاء الصور اذ ذلك موضوع لهم في كتب مدوّنة غدت باختلاف الاسماء والنعوت معنونة. اه. عن مقدمته على هذا الفن الثالث

والفن الرابع من الفنون التي رافع عقل المؤلف الى تدوينها هوى النفس وشايع بياض الطرس بوضعها فيه سواد النفس هو مقصور على ذكر النبات والى كم نوع ينقسم جنسهُ. مضافاً الى كل شخص منهُ وصف يرجع به الى المستوحش انسهُ. (قال): غير اني لم اقتفِ اثر من دوّن مضارّهُ ومنافعهُ. وذكر كيفيته وقواهُ وطبائعهُ. وانما ذكرتُ طرفاً مما جرّبتهُ الاكرة في افلاحه وطرقاً عانوها في تدبير صحته واصلاحه. لتشوّق النفوس الى الوقوف على ما فيه وتيقّنها ان ذلك فرض عليها قد وجب. اه. عن مقدمته على هذا الفن الرابع ولا حاجة الى التنبيه على ان كل فن من هذه الفنون مفصّل الى ابواب واقوال وفصول شديدة الارتباط بعضها ببعض سهلة المتناول تقرب فوائدهُ من طلّابه

فترى من هذه المقدمات ان المؤلف النحرير يتناول في ابحاث كتابه معظم العلوم البشرية المعروفة في عصره فيتناول من فروع العلم الادبي على مقتضى تقسيم العرب علم الانساب وعلم الاوائل وعلم ايام العرب وعلم التاريخ. ومن فروع العلم الطبيعي علم النبات وعلم الحيوان وعلم الفلاحة وعلم المعادن وعلم الجواهر وعلم الكون والفساد وعلم قوس قزح وعلم احكام النجوم. ومن فروع علم الهندسة علم المساحة وعلم الملاحة وعلم السياحة. ومن فروع علم الهيئة علم الارصاد وعلم المواقيت وعلم التقاويم وعلم الاكر وعلم الاكر المتحركة وعلم الكواكب وعلم منازل القمر وعلم الجغرافية وعلم مسالك البلدان وعلم خواص الاقاليم وعلم المواسم. ويلمّ بشيء من علم النفس وعلم طبقات الارض وكفى بهذا كله منبئاً عن معارف المؤلف الواسعة

٥ طريقة الكتاب

اما طريقة المؤلف في ابحاث كتابهِ الموصوف فهي ان يصدرها بالقول النقلي كآي القرآن وفقر الحديث ومذاهب ائمة المفسرين · ويعقبها بالقول النقلي من اراء واوجه علميَّة او فنيَّة يعقبها في الغالب بما ينجلي منهُ وجه الصواب او الخطاء. وهذا ما يجري عليهِ في اكثر ابواب كتابهِ ويستند فيها الى ارسطو وافلاطون وهرمس وابن سينا ونصير الدين الطوسي من كبار الفلاسفة. والمرزباني وابي الريحان البيروني وابي معشر البلخي وابي حسن الصوفي وفخر الدين الرازي وغيرهِ من علماء الهيئة والارصاد. والجاحظ وابن الجوزي وابن ابي الاشعث وعبد اللطيف البغدادي من الرياضيين وعلماء الحيوان. وبليناس وديسقوريدس وجالينوس وابن البيطار ومسلمة المجريطي سواهُ من الاطباء والطبيعيين. وديمقراطيس وابي بكر ابن وحشية وابن بقال الاندلسي وابي الخير العشَّاب الاندلسي وابي حنيفة الدينوري من علماء النبات والفلاحة. وبطليموس وابن خرداذبه وقدامة بن جعفر وابن حوقل وابي عبيد البكري من اهل الجغرافية ومسالك البلدان. والبلاذري والمسعودي والطبري والمسيحي والازرقي وصاعد الاندلسي وابن الاثير وابن العديم من اهل التاريخ. والسهيلي والنوبختي وابن اسحاق وابن باطيس والحسن الهمذاني وابن السائب الكلبي وابن قتيبة الدينوري واشباهه من اصحاب السير والطبقات والنسابين. وكعب الاحبار ووهب بن منبه والنووي والنويري والترمذي وابن العباس والبخاري ومن شاكلهُ من كبار رواة الحديث

وللمؤلف طريقة اخرى في ابحاثهِ وهي ان يقدم بين يديها ايضاً الوجيه اللغوي والمترادفات ويورد بعدها مذاهب علميَّة او فنيَّة يعقب عليها آراءهُ الخصوصيَّة في تمييز صحيحها من فاسدها ويختمها بالآداب والنوادر اللطيفة والامثال السائرة ومكارم الاخلاق فيستند الى ابي عبيدة وابن فارس وابن دريد والخليل والجوهري والثعالبي وابن التلميذ وابي منصور الازهري وابي الفرج ابن الجوزي وغيرهِ من ائمة اللغة. والابي والزمخشري وابن رشيق وابن منقذ الكتاني والجذامي القيرواني وابي السعادات ابن الاثير الجزري وغيرهُ من اصحاب المحاضرات والآداب المنثورة. ويتمثل بلبيد والنميري وذي الرمَّة وامية بن ابي الصلت والحسن بن مطير والحسن بن وكيع والشريف ابن طباطبا وابن حمديس وابن المعتز وابن هاني وابن الزبير وابن شبل البغدادي وابن دقاق

الاندلسي وابي عبادة البحتري وابي العلاء المعري وابي اسحق الصابي وابي الفرج الوأواء وابي بكر الخالدي وابي طالب الرقي وابي الفتح كُشاجم (١ وابي طالب المأموني وابي هلال العسكري وابي الفضل الميكالي وابي الفرج الببغاء وابي بكر الصنوبري والشريف العقيلي والقاضي التنوخي والشريف الرضي والامير ناصر الفقعسي وهبة الله ابن صاعد بن التلميذ المسيحي من فحول الشعراء الجاهليين والمخضرمين والمولّدين

وهو يستشهد بكثير من الكتب النادرة التي لا يذكر اكثرها صاحب كشف الظنون مثل ابكار الافكار للقيرواني والاحجار لارسطو واخبار مكة للازرقي والاذكار للنويري والآراء والديانات للنوبختي وازهار الانهار لابن منقذ واسرار الحروف للبونيّ واسرار القمر لابن وحشية واعلام النبوة للماوردي والامصار للجاحظ والاكليل للهمذاني وامالي ابن دريد والانواء للمرزباني والاوائل لابن باطيس وتاريخ العتبي وتاريخ الطبري وتاريخ البخاري وتاريخ ابن الاثير والتشبيهات للاصفهاني والتنبيه والاشراف للمسعودي والتهذيب للازهري وجامع الاصول لابن الاثير وجامع الصحيح للترمذي والجمهرة لابن دريد والحيوان لارسطو والجاحظ وعبد اللطيف البغدادي والخراج لقدامة وربيع الابرار للزمخشري والروض الانق للسهيلي وسرّ الطبيعة لجالينوس والسرّ المكتوم للرازي وصحاح الجوهري وصحيح البخاري وصناعة الكتّاب للنحاس وطبقات الامم لصاعد الاندلسي والعظمة لابن حاتم والعمدة لابن رشيق وعيون الاخبار لابن قتيبة والغريب لابي عبيدة والفلاحة لديمقراطيس وابن وحشية وابن البصّال الاندلسي والمثلث للبطليوسي ومجدول الصوفي والمجمل لابن فارس ومجهول الاصول لكوشباز والمرشد للتميمي والمسالك والممالك لخرداذبه والبكري والمصايد والمطارد لكشاجم ومفردات ابن البيطار والنبات لارسطو والدينوري وابي الخير الاندلسي ونثر الدر للابي ونشوان المحاضرة للقاضي التنوخي وهذا اكبر دليل على سعة رواية المؤلف حيث قرن الى العلميات الادبيات متناسقةً متلاحقة آخذة بعضها برقاب بعض حتى جاء كتابهُ جامعاً بين اللذة والفائدة (لها بقيّة)

١) كذا رواهُ وضبطهُ حيثما تمثَّل بهِ والصواب كُشاجم وهو لقب لهُ قيل انهُ ركّب من اوائل كلمات كان يوصف بها فأُخذت الكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من اديب والجيم من جمال والميم من منجّم اه

سيرة الحبر الطيّب الذكر

عبدالله قراعلي الماروني الحلبي

للقس توما البودي نشرها بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيها الاب انطون ربّاط اليسوعي (تابع)

وحين كان يتردّد لدير مار يوحنا رشميا كان يعظ احياناً في الكنيسة القريبة الى الدير المذكور في قرية رشميا ومن قِبل وعظه ونظر اهل القرية الى سيرته كانوا يعتبرونه بمنزلة قديس من غير ريب. فاتفق يوماً لرجل منهم لهُ ولد ابن ثلث سنين انهُ ركّبهُ على حمار وفات بهِ قريباً من الدير وكان عبدالله موجوداً بوقتها في الدير. فابتدا الحمار ان ينعطز ويركض والصبي راكب فوقهُ وحده. فخاف ابوه عليهِ وابتدا يستغيث بالقديسين. اخيرًا رمى الحمار للصبي على رجمة حجار فصاح ابوه باعلى صوته: يا صلاة الرئيس عبدالله. وركض نحو الصبي وفي ظنه انهُ تحطّم على الحجار. واذ دنا منهُ وكلمه اجابهُ الصبي وهو ضاحك من غير ان يتأذى فيهِ شيء اصلًا كانهُ وقع على فراش ريش. فحملهُ ابوه من ساعته وادخله الى الدير ليزوّره الكنيسة ووضعه امام عبدالله وطلب منهُ يصلي عليهِ واخبرهُ بالحادث فاجابهُ عبدالله: ان القديس يوحنا صاحب الكنيسة هو الذي حرسه. وبعد ان صلى على الصبي صرفه. وكان ابو الصبي يذيع هذا الخبر عند كل من يراه

ولنرجع الى قوله السابق عن التجربة وموت الرهبان قتلًا الذي خبرنا عنهُ سابقاً. فبعد مدّة قليلة صار زمان الجمع لقيام رئيس عام فدعا الرهبان الى الجمع (١ ولمّا التأم المجمع ترامى على جمهور الرهبان المجموعين للقرعة ان يقيموا رئيساً عاماً غيره لمن يريدون لان مراده ان يروح الى المحبسة التي كان هو انشأها قبال دير قزحيا في عربتا (٢ بزعمه

١) التأم هذا المجمع في تشرين الثاني سنة ١٧١٤

٢) قال الاب عبدالله قراعلي: «وفي هذه السنة (١٧١٦) تحرك قلب البعض من الاخوة الكهنة لطلب السكوت والانفراد وهذه كانت شهوة المرحوم القس يوسف البتن فطاوعتهم الى ذلك وافردتهم الى مكان في وادي قزحيا يُعرف بعربتا. وكان عددهم اثنين واسمهما الواحد انطونيوس وهو شيخ يُعرف بابن مبارك والاخر شاب يعرف بابن شوشان وضعت عليهما القانون

انهُ يريد ان يقام رئيس عام على الرهبنة غيره في زمانه لينظر التدبير وبهذا النوع كان يتوسل الى الرهبان ويعدهم انهُ ولو كان في الحبسة ما يتخلّى عن رشدهم ورشد رؤساهم في القانون. وايضاً كان يقول: هكذا الله طالب مني. فمن زود لجاجته على الرهبان بما ذكر اخفوا راياتهم وكان جواب اكثرهم: فلتكن مشيئة الله ومجده الذي هو غاية المراد. وفي حين القرعة وكشفها ما ظهر ولا ورقة بغير اسم عبدالله. فاهطل الدموع مستغيثاً بالله لاجل التجارب المزمعة ان تظهر وهي في عقله. اما الرهبان فصرخوا بصوتٍ واحد نحوه: انك ما دمت في الحياة ما يكون رئيس غيرك والذي دبرك الى الان يدبر اولادك بعدك. وبعد انتهاء المجمع كان جميع الرهبان فرحين برئيسهم. اما الفرح الروحي الذي كان بينهم فانا عاجز عن وصفه

وبعد ذلك اجتمع مع مدبريه وكان حزيناً جداً. فالبعض كانوا يظنون ان حزنه لانهُ أُقيم رئيساً وما سلك كلامه في قبول الحبسة فقط ولكن قد اطلع للذي اطلعه سابقاً على تجربة الرهبنة والقتل بقوله لهُ هكذا: يا فلان في تجربة أُخرى مزمعة ان تصير وهي امرّ من الاولى التي اخبرتك بها وهي سيف ذو حدين اي اما عصاوة الله وبيعته او خراب الرهبنة وتبديد الرهبان. اما في هذه الثانية أموت حالاً. واما الاولى فليس منها مهرب (١

وبعد انتهاء كافة الاشغال التي تخص المجمع وغيره نزلت انا الى طرابلس لكي اذهب (ارضب ؟) الرؤساء الذين تعينوا الى ديورة كسروان وغيرهم الذين انعزلوا وكانوا ماضين

اكثر مماً هو في الدير وسلمتها الكرم الذي هو امام محابسها ليلاً ويقاتلا الضجر ومنزا لها قلاية جعلاها كنيسة على اسم ماري بولا اول المنفردين فكان معاشها من دير الاخوة عوض تعبها» وقد اسعدنا الحظ فزرنا دير قزحيا منذ اشهر قليلة فتأكدنا بالخبر بعد الخبر ما ذكرهُ صاحب النبذة عن عدد الضيوف والزوار القادمين زرافات طالبين شفاعة ابي الرهبان ولقينا من حضرة الرئيس ومن رهبانه اكرم الضيافة واطيب الخصال وزرنا محبسة مار بولا تجاه الدير فرأينا فيها راهبين منفردين يعيشان عيشة الابرار قدوة لكل من رآهما. وقد ذكر المؤرخون محبسة مار بيشاي بالقرب من الدير وهي الان مهجورة وكان قد سكنها جبرائيل فرحات في بعض سنة ١٧١٢ (المشرق ٧: ١٠٧) وغير بعيدة عن الدير محبسة مار ميخائيل القديمة وهي مهجورة ايضاً (المشرق ٤: ٣٦٢-٣٦٥)

١) اطلب سلسلة بطاركة الطائفة المارونية (ص ١٩١) ومن تصفح ديوان فخر زمانه السيد

لكي يسلموا لاولئك. وبما اني كنت مباشرًا عمارة الطاحون التي في الزاوية(١ التزمت اتعوق هناك يومين. وفي صباح احد الايام اتاني مرسال من قبل الاب العام لاتوجه حالًا الى عنده ويخبرني انهُ سقط صخر عظيم من الجبل على دير قزحيا وقتل البعض من الرهبان تحت الردم من غير ان يشرح لي من هم وكيف صار الامر لان المرسال توجه الى عندي حال ما صار الخراب من غير انهم يعرفوا من هو الطيب ومن هو المائت (٢ وبما ان الرهبان المتوجهين الى كسروان كانوا في المدينة ناطرين حضوري لكي اذهبهم(٣ كما ذُكر فحالًا توجهت الى المدينة وعزلت الانطوش حذرًا من حاكم البلد لئلا يصير لنا عطب وامرت الرهبان بالخروج من المدينة وتوجهنا جملة الى الدير المذكور. وثاني يوم صباحًا كنّا مقبلين على دير مار انطونيوس قزحيا وقبل ان نصل الى الدير بنحو ميلين وقع صخورة كثيرة علينا ونحن فائتين الى ان قربنا الى الدير جدًّا وبعون الله وصلاة ابينا ما حكمنا شي منها. وسبب وقوع هذه الصخور هو ان في تلك السنة خريفها كان اكثره امطار وزلازل فالمياه حلحلت الاراضي والزلازل حركت الصخور التي ما هي لازقة بعضها. وحين وصلنا توجهنا لنأدي الطاعة الى ابينا كالمعتاد فرأيته بشوشًا ما هو مضطرب اصلًا. فاستدمنا نعاون الاخوة في تعزيل التراب والصخور لنشيل الرهبان من تحت الردم الى المسا.

جرمانوس فرحات وجد قصائد جمة تتضمَّن فوائد تاريخية المح اليها الشاعر قد تظهر معانيها جليَّة اذا ما قوبلت بالنصوص. راجع ان شئت (صفحة ١١) القصيدة التي مطلعها:

وقيلةٍ جهلاؤها عقلاؤها في بلدة سفهاؤها فقهاؤها

التي ياخذ فيها الشاعر بناصر المطران عبدالله صديقه ويقرع الحساد بشر آلم من السوط:

يا ايها المطران عبد الله بل يا من بهِ الارواح زاد رجاؤها

لا تخشَ من اعداء فضلك اذ عوّوا لم يخفَ من شمس السماء ضياؤها

ترداد لك الحقائق التاريخية جلاء. وامثال هذه الفائدة التاريخية كثيرة في ديوان المطران

١) على نهر ابي علي في ارض قرية كفرحورا بجانب الجسر الذي تحت دير كفرتين قال فيها جرمانوس فرحات شعرًا نُقر على عتبتها (المشرق ٤:٢٦٤):

لله طاحونٌ بزاوية بدت نجمًا يدور السعد بين فراشها

لقد اعتنى ببنائها وعمارها رهبان لبنان لدور معاشها

٢) جاء في سجلات الرهبانية ان يوسف البتن والاخ رافائيل من عائلة الحواقلة من زوق مصبح قُتلا تحت الردم

٣) لعلَّها «اوضيهم»

فأسرّ سرًّا الكلارجي ان يأخذ فرشتي الى قلايته وبعد ساعة من الليل هجمنا (١ من الاشغال فارسل طلبني ونبّه ان لا احد يجي لناحية القلاية وبعد جلوسي التفت اليَّ بهذا القول: كيف رأيت يا ولدي. فقلت لهُ : هذه تجربة ما لها تسلية. اجابني هو هكذا: انت ولد بعدك طفل الى متى اتعب معك اذيت يا توما حين قلت لك عن تجربة. زمعة أما قلت لك اني قاشع تجربة بخراب وخسارة عظيمة وقتل. فقلت لهُ : نعم بالمعنى هذه هي. قال: انصت لكي اخبرك. اعلم ان منذ فارقتني كان كل يوم عن يوم يزداد الوهم والحزن عليَّ وبعض الاحيان كنت اظن اني اعدم حياتي من زود الضيق الذي كان يستولي عليَّ وخاصةً في الليلة التي وقع الصخر واستدام هذا الى صلاة الليل وكنت في تلك الليلة وبعد الصلوة توجهت الى قلايتي هربًا من المياه الباردة التي في الكنيسة (٢ فاتى يوسف البتن وكشف لي افكاره كمعتاده وكأن الله ارسلهُ ليودعني فاخذني سبات النوم بعد خروجه من عندي وانا في حد الحزن وبعد برهة من الزمان حسبت كأن الدير هبط فينا كلنا. فحين انتبهت حسيت في عقلي كأن واحدًا يقول لي: تم انتهت وانقضا الحكم. وحال انتباهي رأيت ذاتي فرحان كأني ما عرفت الحزن ابدًا وهذه كانت التجربة التي اخبرتك عنها يا تويم. فقلت انا لهُ : بعد عندك غيرها تبشرنا بها. اجابني: هي ضهرك للسياط والمكافحة عن اخوتك

وبعد هذا ابتدا يبالغ في السيرة باضعاف ما ذكرت لكم سابقًا. اخيرًا حين اتى فصل الصيف توجه الى زيارة الديارة وكان رئيس قزحيا في ذلك الوقت القس مخايل اسكندر الهدناني (٣ وفي تلك الايام وصل ليدي مكتوب مرسل من مجمع انتشار الايمان باسم ابينا العام ففتحته لاني كنت متصرفًا بعمل ذلك بامره لكي اذا اوجد مكتوب وكان فيه قضاء اشغال اقضيها من دون مكاتيب الرهبان السرية. ورأيت في هذا المكتوب شيئًا يحزن القلب. مضمونه: قد بلغ الى مسامع الكرسي الرسولي

---

١) كذا في نسختنا ونظن الصواب رجعنا

٢) اعلم ان دير مار انطونيوس قزحيا صخره دلف في تلك السنة اكثر من كل السنين (حاشية للمؤلف)

٣) جعل رئيسًا عامًا سنة ١٧٢٣

والى هذا المجمع المقدس انكم عاصون على البطريرك ورؤساء الطائفة. المراد قد امر هذا المجمع المقدس ان القوانين المجموعة من سير الاباء الغربيين اي مثل اليسوعيين(١ والكرمل مراده ان تبطل القوانين المذكورة (٢ وتكونوا في طاعة السيد البطريرك الخ. فحالاً ترجمت المكتوب وارسلته له. وحال وصول المكتوب ليده توجه لعند البطريرك لدير مار شليطا لان البطريرك كان هاربًا من جبة بشراي وبعد مواجهته ترافعا بالكلام لان خراب الرهبنة كان يزعج فؤاد عبدالله. فبعد الخطاب آخر كلام عبدالله للبطريرك كان هكذا: « ان كان هذا الامر يجري ويتبدَّدوا كزعمكم فالكهنة منهم يصيرون خوارنة في الضيع وتلتزمون في معاشهم والرهبان الذين بلا رسامة يقلعون الثوب ويمضون الى بيوتهم يتزوجون لان نذرهم على موجب هذا القانون المثبَّت من سلفائك فاسخ. فاذا ابطله الكرسي الرسولي ما بقي الرهبان يلتزمون بالنذر». وحين سمع البطريرك هذا الكلام تأنس مع الرئيس بقوله: انا احامي عنكم في رومية وكانت هذه حيلة منهُ للترقيد. وفي اثناء ذلك امره بامر قاطع انهُ لا يبرح من دير لويزه الى ان يخبره وقال لهُ ايضًا: اني اريد ارسمك مطرانًا وتكون عندي لتدبير الطائفة. فنزل عبدالله الى لويزه. وفي تلك الايام مشايخ عجلتون كانوا طالبين مطرانًا لان مطرانهم كان فُقد

وبعد ان توجه عبدالله الى لويزه في ذلك النهار ذاته ارسل البطريرك الى مشايخ عجلتون واخبرهم ان مراده يرسم عليهم مطرانًا الرئيس عبدالله قراعلي الحلبي وان المذكور نزل الى لويزه ارسلوا من قبلكم اناساً ليحرسوه لئلا يهرب. وهكذا صار لان

١) من طالع قوانين الرهبانية اللبنانية وجد فيها فِقَرًا ونصوصًا منقولة بالحرف الواحد عن قوانين الرهبانية اليسوعية.

٢) قال الاب الرئيس في كراسه (سلسلة ١٩٣): «وبعد ايام اخذت اتذاكر مع السيد البطريرك [يعقوب] في امور الرهبنة فرأيت نيته ان يفسخ الرهبنة ويبطل الرئاسة العامة ويجعل كل دير يقوم بذاته بزعمه ان هذه هي رهبنة الموارنة وهذا الاوفق لتدبير الرهبان والكنيسة. فلما سمعت كلامه مانعت...» وكأن الحبر الروماني اكليمنضوس الثاني عشر قد المح الى هذا في براءة تثبيت القوانين تاريخها ٣١ اذار ١٧٣٢ (اطلب كتاب القوانين المطبوع في رومية سنة ١٧٣٥ باللاتينية والعربية صفحة X و XI ورسالة الحبر الاعظم الى البطريرك يعقوب والاساقفة الصفحة ١٤١–١٤٢)

في تلك الليلة نزل احد المشايخ ومعهُ رجال تعد في الدير المذكور. ولمَّا استحسَّ عبدالله ان ما بقي فيهِ مهرب ورأى رهبنته مضروبة ضربة قاتلة وعرف ضمير البطريرك ونيته وما بقي لهُ مناص ولا مهرب التجأ الى الصلوة في الكنيسة ودام على ذلك ثلاثة ايام صائماً مصليًا ولئلا نطيل الخطاب اخيرًا اعتمد على عمل طرائق الاباء عند اضطرابهم كانوا يلتجئون الى درع التواضع بطلب المشورة من غيرهم. والحال ان ما كان عنده في ذلك الوقت احد من اعيان رهبنته حاضرًا في ذلك الدير لان الدير كان بعده في ابتدائهِ بمنزلة منزل فارسل طلب المرسلين القريبين اليهِ مثل الرهبان اليسوعية (١ وغيرهم من المرسلين واعرض القضية بين يديهم وطلب منهم المشورة الواجب عملها. وسبب طلبهِ للمرسلين بالعجل لان البطريرك ارسل لهُ امرًا ثانيًا في التوجه الى عنده والذين جابوا الامر كانوا مشايخ ومعهم رجال خلاف الذين كانوا في الدير. فلما رأى كثرة المشايخ والرجال في الدير طلب منهم مهلة للمشورة وارسل دعا المرسلين كما ذكر اعلاه. فالمرسلون بعد ان فهموا كلَّ شي حكموا عليهِ بانهُ ملزوم يطيع وبطاعته يرضي الله وينفع رهبنته لان حين شاورهم اجتمعوا مع بعضهم وبعد المفاوضة اكثر راياتهم كانت ان هذه الطائفة محتاجة الى رئيس كهنة مثل هذا. واما الرهبنة ففيها اناس كفو لتدبيرها وحمايتها وخاصةً بسيرتهم الصالحة حاشا ان الله يتخلَّى عنهم وهذا كان يتكلمه المرسلون علانيةً امام الغير وكانوا يوصّون المشايخ ليأخذوه ويرسموه بالعجل وناهيك من فرحة عند اولئك اي المشايخ. والمرسلون والعوام كانوا فرحين متهللين. واما عبدالله والرهبان القلال الذين في لويزه كانوا في البكاء والنواح والصراخ بهذا المقدار حتى ان كثيرين من الحاضرين من مشايخ ومرسلين وغيرهم ابتدأوا ان يهطلوا الدموع من نظرهم الى بكاء اولئك. وعبدالله كلف احد المرسلين اليسوعيَّة ليستقيم في لويزه ذاك النهار ليسلي الرهبان بان يسلموا لمشيئة الله. والابلغ من ذلك لما وصل الخبر الى بقية الديورة فذاك ابقيه الى القارئ لان المناحة التي صارت مدة انوف من خمسة عشر يومًا انا عاجز عن ايضاحها. واما من بعد رسامته التي صارت سنة ١٧١٦ في ١٧ من شهر

---

١) لا شك انهُ دعا اليسوعيين القاطنين في مدرسة عينطورة وكان رئيسهم الاب تيوفيل بوناور. اما الاب انطون ناخي الماروني اليسوعي فكان رئيسًا على دير طرابلس

ايلول لكي ان صار المجمع العام فالذي حدث عليك قراءته في تواريخ الرهبنة لان هذا المختصر القصد فيه سيرة عبدالله لا غير

هذا ما اخبرت به بالمختصر عن سيرة ابينا وسيره . واذا اردت اوضح كل شي بالتدقيق فذاك يطول شرحه لكن ابقيت النتائج مما ذكر الى القارئ . ولكن رأيت الانسب اني ابرهن عن فضائله التي اقتناها بنعمة الله وجهاده وذلك لاعم شور ونصح من هو ذو فطنة وعقل وتمييز ابلغ مني لان اذا كان الهنا معنا لا محالة ان بالتواضع والاقرار بضعف الحيلة ننال الفطنة بالهامه تعالى لنخبر عن سيرة محبي الله الحقيقيين وبما اني عاجز عن معرفة فضائله الداخلة وسبب عجزي هذا اني اقر ولا اكذب بعدم امتثالي بسيرته والابلغ في سيري المعوج عن رشده لي في كل تلك المدة التي كنت معه

فاقول اولًا الفطنة التي اوهبها الله الى ابينا عبدالله كانت تفوق عقول كثيرين والاولى ان اقول انه بذلك كان فريد عصره واريد ان ابرهن لك عن ذلك بقليل من الخطا[illegible] القارئ . اولًا رشده للمبتدئين في الرهبنة كان يفوق عقول السامعين [illegible]ين تقدموا في الفضيلة وال[illegible] ن غيرهم كان يرشدهم بنوع آخر لم يتميز عن رشد الاباء الاقدمين . وفي زم[illegible] تام محبسة مقابل دير مار انطونيوس قزحيا ووضع بها ثلثة انفار احدهم يسمى انطونيوس من دلبتا فهذا السعيد جاهد في هذه المحبسة جهادًا هذا مقداره حتى من سيرته تيقنت الرهبان وآمنت فيما خبروا به في بستان الرهبان عن جهاد الاباء الاقدمين وعن الحبساء الاولين وجهاداتهم . ومرشد هذا السعيد انطونيوس الذي فيما بعد انتقل الى الرب بسيرة مقدسة كان ابانا المشار اليه . (واما سيرة هذا السعيد القس انطونيوس فهي موجودة في تواريخ الرهبنة من اراد يعرفها فليقرأ التواريخ) لان كان معه موهبة في الرشد لكل ذي قدر وقياس . في رشده للديورة المشترك معاشيا كان شبيه مار انطونيوس الّا قليلًا . وفي رشده للحبساء اقدر اقول انه كان شبيه بالقديس اسحق . واما رشده للعوام وغيرهم فذلك سوف يظهر بيانه وهو مطران . وان ظننت ايها القارئ اني ابالغ في قولي لا تظن اني كتبت شيئًا الذي ما نظرته بعيني من اثمار رشده لان حين دخلت انا للرهبنة كان موجود آباء الذين كانوا متقدمين في الفضيلة واقدر اقول في سيرة القداسة

اولًا القس يوسف البتن هذا كان بلغ الى تواضع عميق وهذيذه الروحي لم كان

يبطل وكان أعطي حساً في ذكر الموت بهذا المقدار حتى امرارًا عديدة حين يكون على المائدة كان يحس فيهِ بهذا المقدار حتى انهُ لم يعد يقدر يأكل. وهذا ما نظرتهُ انا مرارًا شتى. واما خارجاً عن المائدة اذا اتاه ذكر الموت كان حالًا يتغيّر وجههُ وامرارًا شتى كان يغشى عليهِ من غير ان جسمه يتحرك بشيءٍ. وصلاته العقلية كانت اربع ساعات في الليل والنهار ما عدا الهذيذ المتصل. وكان في كل ليلة يمضي يكشف افكاره الى ابيه عبدالله ويأخذ صلاته. والابلغ من هذا ان كل رئيس كان يتولى على الدير الذي هو فيهِ كان يسلك معهُ كمثل سلوكه مع ابيهِ عبدالله. وكنت ترى اكثر الاوقات هذا السعيد جاثيًا في المائدة الى خلوص العشاء. وهذا الحادث كان الرؤساء يستعملونهُ معهُ اولًا لتمكينه في التواضع والثاني لاجل المثل الصالح امام الاحداث وغيرهم. ومع هذا كان مداركُ تعب الجسم في خدم الدير الدنية. وحبه للرهبان كان فريدًا لانهُ كان يدور قلاليهم في غيابهم وينظفها. وملاحظته للرهبان جملةً وافرادًا ورشده ووعظه لهم بكل تواضع لب وهربه من الكرامات والوظائف العالية باي نوع كان يعسر توضيحه على الذي مثلي. وطاعته للرؤساء الذين اتوا بعده الى الرهبنة كانت فريدة. واما طهارته فيعسر لساني عن وصفها يكفيك هذا ايها القارئ انني لم اقدر ان اقول الّا هذا وهو نفس طاهرة في جسم ميت

(التتمة في العدد القادم)

غرق بغداد

لحضرة الاب انستاس الكرملي (تتمّة)

ولما شاع خبر انهدام أسوار المدينة التي كانت تُحصّن دار السلام وانتشر في انحاء الدولة طولًا وعرضًا شمالًا وجنوبًا الزمت الدولة العلية والي آمد (وهي ديار بكر) وكان يومئذٍ مرتضى باشا. ووالي كركوك والموصل ان يساعدوا والي بغداد بعساكرهم حماية للمدينة ودفاعًا عن اسوارها ريثما تُبنى البروج والقلاع على ما كانت عليهِ سابقًا. فجاءت الجنود واقامت في السهول العالية من سهول البلدة وبعد ان احتلُّوها مدة قصيرةً امر السلطان الوالي مرتضى باشا بالذهاب الى الانضول لامور مهمّة تستلزم حضورهُ هناك.

وفي تلك المطاوي تمّت الترميمات والابنية ورجعت الامور الى مجاريها الاولى . (محصل عن گلشن خلفاء ص ١٧٥ من مخطوطنا)

وفي اواخر نيسان من سنة ١٧٠١ م (١١١٢ هـ) فاض نهر دياب فيضاناً فاحشاً فألحق بالناس ضرراً عظيماً وهذا النهر يبعد اربع ساعات عن الرماحية الراكبة على الفرات وهو يمرّ في القطر المتوسط بين الرافدَين ويدفع مياههُ في دجلة . وسبب اضراره هو ان السدود التي تكمّ فم هذا النهر كانت قد ضعفت على تراخي ستور ثلاثين سنة عليها ولم تُصلح ابداً في تلك المدة فلماً طغى وبغى فتق السدود واخذ بالشرود مغرّقاً كل ما وجدهُ في طريقهِ من الزرع والابنية ثم رجع الى مجراهُ ماراً بالسماوة

وهذه البلية اتلفت الزراعة واوقفت حركة التجارة وقطعت الطرق في وجه المارَّة والمسافرين والحجّاج والقوافل فتضرّر الخلائق كلهم وعجز الاهالي عن دفع الضرائب والخراج فغادروا القرى والضيع ولجأوا الى الجزر التي لم تنلها المياه في وسط ذلك البحر الغطمطم . فانتهز الفرصة بعض العُصاة والمفسدين وعاثوا في هذه الديار ولا عيث الذئب الاملط مِمّا لا نتعرّض لذكرهِ لكي لا نخرج عن الخطّة التي اختططناها لنفسنا في هذه المقالة (ملخص عن گلشن خلفاء ص ٢٣٢)

وفي سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢١ و ١٨٢٢ م) تراكمت البلايا والرزايا على بغداد . فمن الجهة الواحدة تقدّم العدو ليأخذ المدينة من يد داود باشا فقامت الحرب على قدم وساق حتى عمّت اهالي العراق . ومن الجهة الثانية فشا الطاعون في هذه الآفاق حتى لم يبقَ للقائمين بدفن الموتى وقتٌ ليؤدّوا لاعزتهم واجبات الفراق اذ قد ينتهي بهم الامر الى ما كانوا نُدِبوا اليهِ اي انهم كانوا يُطعَنون فيموتون للحال ويُدفَنون حيثما يسقطون حتى في داخل المدينة او في بطن الدار او السرداب . ومّما زاد الطين بلّة ازدياد دجلة ازدياداً خارق العادة فانهُ اتلف في تلك السنة المزروعات الصيفية والشتوية ودخلت المياه في البساتين وركدت فيها اياماً عديدة حتى أَسِنَتْ واماتت الاشجار والنخيل وسائر النباتات التي تكره كثرة الماء . ثم ان السيول تفجّرت من كل جانب وتدفّقت في داخل المدينة لخلوّها من العدد الكافي من السكان للقيام باتخاذ الوسائل اللازمة لمنع المياه من الهجوم وخرق السدود . ولهذا سقطت المنازل والبيوت على من نجا من غائلة الوباء . فعمّ الخراب سائر ديار العراق وبلغ الفقر من الناس القليلين الأحياء كل مبلغ

والحق يقال ان هذه الطامة الكبرى كانت من اعظم الطوام التي حدثت في تاريخ بغداد منذ نشأتها لانهنّ كنّ ثلاثاً الواحدة أشأم من اختها وكل منها شديدة الفتك بالخلائق وقد جئن متتابعاتٍ متاليات لتتلف الواحدة ما ابقت الأخرى ولذلك ابقت تلك السنة ذكرًا لا يُمحى ولا يمكن ان يُمحى . (عن تاريخ رسالة الكرمليين في بغداد وعن السجلات الخطيَّة المحفوظة في ديرهم البغدادي)

ومع ذلك فلم تكن السنة وحيدة المثال في تاريخ بغداد فقد حدث ما يُشبهها كل الشبه بعد عشر سنوات يعني في سنة ١٨٣١ م وذلك انهُ في ٢٠ من شهر اذار بدأ طاعون جارف . وفي شهر نيسان بلغ عدد المطعونين المتوفين في اليوم الواحد ما يُناهز الالفين . وفي بعض الأيام كان يبلغ هذا العدد ما يتعدى الالفين . كما انهُ كان يقلّ في بعض الأيام . بيدَ انهُ من الموكد الذي لا يشوبهُ شائبة ريب ان عدد المتوفين بهذه الوافدة المشؤومة كان اكثر من مائتي الف نفس في مدة تنقص عن شهرين . وليس هنا محلّ وصف هذا الداء الهائل . فربّما عدنا اليهِ في مقالة خصوصيَّة يكون عنوانها طواعين بغداد فنذكر اشيرها في التاريخ

وفي هذه السنة زاد الرافدان (وطغيان دجلة والفرات في وقتٍ واحد من الامور القليلة الحدوث) زيادة مفرطة في ربيع تلك السنة . ومن بعد ان غطّت المياه السهول المحيطة ببغداد وعلت عدة اذرع تفتّقت السدود ودخلت المدينة وهدمت عددًا لا يُحصى من المنازل فسقطت على اصحابها وسكّنتها فكانت لهم قبورًا بعد ان كانت لهم دورًا وقصورًا . وكأنَّ هتين البليَّتين (الطاعون وطغيان الفراتين) غير كافيتين قام في المدينة لصوص ونهّابون فكانوا يدخلون البيوت ويسرقون ما يجدون فيها من الحُلى والجوهرات والعروض الثمينة . وكانوا اذا وجدوها على الموتى غير المدفونين كسروا الاعضاء التي عليها تلك الحلى واخذوها غنيمة باردة واذا وجدوا مَن يعارضهم في هذا العمل الفظيع طعنوهُ بالخنجر او بالسكين وفتكوا بهِ شرَّ فتكٍ وحملوا بعد ذلك ما طاب لهم من المال

ثم جاءت الحربُ اثر الغرق واخربت كل ما كان قائمًا فيها من حيٍّ وجمادٍ . وبذلك عمَّ الخراب بغداد وما جاورها من القرى والبلاد ولا زال بعض الشيوخ يذكر

اهوال هذه السنة بتفاصيل يقشعرّ لها السامع. ونحن ذكرنا ما ذكرنا نقلاً عن سجلات الدير المخطوطة

وفي سنة (١٨٨٤ م) طما دجلة فطمَّ بمياهه سهول العراق الفسيحة والزم الحاكم جميع الناس ان يخرجوا الى ضاحية بغداد ليحكموا الاسداد ذلك على كل ذكر بالغ عامل ومن لم يرد ان يشتغل بنفسه كان يدفع أُجرة لعامل يعمل بدلاً منهُ فدفع النصارى واليهود مبالغ كثيرة قياماً بالواجب الوطنيّ. وكان السكّان يخرجون محلّةً محلّةً على صوت الطبول والدمَّام (١ تنبيهاً للناس على الذهاب الى هذه المهمّة العظيمة. وممن بذل اقصى الهمّة في هذا العمل محمّد كبير بيت جميل وعلى هـذه الصورة نجت بغداد من الغرق. اما المسافرون والحجاج وغيرهم من المتجولين في ديار العراق فكانوا يركبون مراكب البحر (كالسفن والقفف والقيارّيات والطرّادات) تاركين مراكب البرّ (الجمال وما ضاهاها) ومع ذلك فكانت الخسائر عديدة خارج المدينة فان الزروع تلفت والبقول لم يبقَ لها اثر ومات كثير من الاشجار لان المياه لركودها في البساتين والغيطان أسنت ونتنت فقتلت ما قتلت. وفي تلك السنة كان الشاعر السيد شهاب الدين العلوي الموصلي في بغداد فوصف هذا الغرق بقوله:

طغيانُ دجلة خطبٌ من الخطوب المُخِلَّهْ
وغاية القول فيهِ لم تطغَ من قبلُ مثلَهْ
طغت وزادت وكادت تستغرق الكونَ كلَّهْ
بغت ونالت منالاً لم يبلغ النيل نَيْلَهْ

---

١) الدمَّام بوزن جبَّار طبل متوسط الكبر طويل الشكل شائع الاستعمال في العراق يُقرع في اعراس المسلمين الحافلة وفي البلايا والمحن العظيمة تنبيهاً للناس على الاجتماع لهُ وجهان من جلد. وقد سمّى بعضهم بالدمَّام طبلاً آخر يُتَّخذ وجههُ من معدن رقيق وشكل حجمهِ يقارب من شكل حُبّ صغير او راقود وربَّما جُعل الجلدُ الرقيق بدلاً من المعدن. وربَّما سمَّاهُ البعض تمتام بحكاية صوتهِ. امَّا الدمَّام فحكاية صوتهِ تُشبه قولك: « دُمْ. دُمْدُمْ. دُمْدُمْدُمْدُمْ » قال احد الشعراء::

يقول لك الطبل المجوَّف: يا فتى على المَهْدِ دُمْ دُمْ لا تريغُ فتُحْتَبِ

ويُسمّيهِ كثيرون من البغداديين: « طبل باز » وهو الذي عرفهُ الاقدمون باسم « طبل الصوفيّة » (راجع كتاب الفيض الوارد ص ٧٠)

بالجانبين احاطت محلّة فحلّه
وباءت الناس حالا في حلّة بعد حلّه
واشغلت واطالت لكل من كان شغله
شغل بغير فراغ للآنة بعد ملّه
وما كفى سدّ نمر بدعى ديالة ذيلَه
والفضل لابن جميل في جملة بعد جمله
محمد من اياديه م بالندى مستهلّه
لولاهُ بغداد كادت ان تنتدي مضمحلّه
للمدح فيه مجالٌ ومنهُ هذي الجلّه
دار السلام ونالت به السلامَ وسبله
واهلها اليومَ عمَّا اداهُ تشكرُ فضلَه
نجت به من غريق عنها لقد سدَّ سيلَه
بامره الامرُ ماضٍ لا يسبق القول فعلَه
لهُ احترام الاهالي من حيث اصبح اهله
وسورة الحشر تُتلى تُذكرُ الناسَ هولَه
لكل سدّ وردم اسكندر الملك حولَه
وذاك اكرم والٍ وبالمعالي مولَه
ندبٌ تقيٌّ نقيٌّ تَدَيُّنا وجبلَّه
محافظٌ في نمار وليس يَجْمَحُ ليلَه
قد جدَّ واشتدَّ حزماً والدهر يحذر هزلَه
ان رمت تصحيح ما قد أعلت من غير علّه
ارّخ ببغدادَ عدّا احاط طوفان دجلَه (١٣٠١ هـ)

ولم يكن دجلة وحدهُ قد طغا فكان الديالى قد شابهُ بعمله هذا الضارّ فاتلف بعقوبا وبُهرز وخُويدر ونواحيها

وفي ١٦ نيسان سنة (١٨٩٤م) طغت مياه الفرات فكسرت الاسداد التي تحصرها وجاءت فاتحدت بمياه دجلة واخربت جانب الكرخ وللحال امرت الحكومة بقرع الطبل والدمّام فاجتمع ساعتئذٍ ألوفٌ من اهل البلد واتخذوا الاحباس والاسكار والاسداد فخفّت وطأة الغرق. واما الجانب الشرقي فاغلبهُ غرق وتلفت الزروع واصبحت بغداد جزيرة محاطة بالمياه من كل جانب. ولم تأخذ بالتناقص الا منذ ٢٢ نيسان. وسبب غرق الرصافة كان من انبثاق سدّة الاعظميّة فجاءت المياه سراعاً

الى مقبرة الكاثوليك فاغرقتها واما مقبرة الانكليز فلم تُصب بضرر عظيم ولم تقع حيطانها المحيطة بها كما جرى في المقبرة الكاثوليكيَّة مع انها لا تبعد عنها الّا بضعة امتار والسبب في ذلك علو ارض المقبرة الانكليزيَّة وانخفاض ارض المقبرة الكاثوليكيَّة

وفي اواخر شهر كانون الاول من سنة ١٨٩٥ الى اواخر شهر كانون الثاني من بدء سنة ١٨٩٦ وقعت امطار وابلة طوفانيَّة فزادت بها مياه دجلة زيادة فاحشة على غير مألوف عادته في مثل هذا الاوان من السنين الماضية لان طغيانهُ اعتياديًا لا يكون الّا في اوائل نيسان واماً في هذه السنة فتساقط الامطار الغزيرة سبَّب طوفانًا هائلًا قبل ميقانه. ولما كان الناس غافلون عن مثل هذا الحادث في هذا الاوان لم يتخذوا الوسائط المانعة من هجوم السيل ولهذا كانت الاسداد ضعيفة لانها تحتاج في كل سنة الى تجديد تام. ولذلك لم يقم في وجه السيل قائم فكسر الاسداد وطمَّ السهول المجاورة لبغداد. فامرت الحكومة ان يخرج كل رجل بالغ الى ضاحية المدينة لمنع الغرق ومن لا يخرج بنفسه يدفع عنهُ اجيرًا فاسرع جميع اهل الوطن من جميع الملل الى العمل بامر الحكومة وادت اليهود والنصارى مبالغ طائلة للمستأجرين المشتغلين عوضهم

ولما كانت البلية عامَّة أغلقت الدكاكين والمخازن ودور القهوة وسُدَّت الاسواق ومحلّات الاجتماع للدفاع عن المياه المتهدّدة للمدينة لان طرقها وشوارعها امتلأت ماء واخذت الآبار والبلاليع والسراديب تنبع ماء غزيرًا وتفيض في الدور فتهدمت بيوت ودور تزيد على الف. بل وتخللت اغلب الابنية واحكمها وضعًا. وغرق خلق لا يحصى من اهل البادية والحاضرة حتى قدَّروهم باربعة آلاف نسمة. واماَّ الحيوانات من سائمة وبريَّة واهليَّة فلا تُعد ولا تحصى ولا تستقصى.

ووجب على كثيرين ان يتخذوا معبرًا في دارهم لكي ينتقلوا من محل الى آخر. وحدث بعد ذلك غلاء فاحش لموت الحيوانات والمزروعات والحاصلات. اماَّ النخل فلم يمت منهُ كما مات من سائر الاشجار وكان الفلاحون ينتقلون من نخلة الى نخلة ليلقحوها بواسطة قفَّة او بقوة السباحة او بواسطة اخرى لان كثرة المياه كانت تحول دون السير في البساتين والغيطان

اما دخول المياه الى المدينة فكان من انبثاق سدَّة «أبودَالي» في غربي الاعظميَّة وطولها ٢٥٠ مترًا ثم انكسرت سائر الاسداد بالتتابع وانقطعت جميع الطرق ولاسيما

طريق بعقوبا وخانقين ومندلي والموصل وكركوك وبهرز. ومن الاسداد التي تفتّقت سدة بستان «الايوازيّة». اما المسعودي من الانهر الواقعة في الكرخ فانهُ طما بنوع فاحش فعطّل القدّاد (التراموي) الواصل بغداد بالكاظميّة وانقطع طريق هيت وعانات والصقلاويّة وكربلاء والحلّة والكوفة والمشهد. وتفاقم البلاء عند انكسار سدة «الأرفليّة» فاخذ الماء «قهوة سعيد» وهجم على المدينة فاسرعت الحكومة ببذل ما في الامكان لردع تيّار الماء بسدّ باب الشرقي من ابواب بغداد وتحكيمه ووجّهت اربعة طوابير نظاميّة الى حفظ الاسداد فبقيت العساكر محافظة على الولاية مدة ثلاثة ايام بلياليها ومعها الوف والوف من الاهالي على اختلاف مللهم ونحلهم وعمائدهم

واما الخسائر التي لحقت الناس من جرّاء هذه البلية الكبرى فقد قُدرت بثلاثين مليون فرنك على الأقل. ولم يكن لهذا الغرق شبيه الّا سنة ١١٥٩ م وسنة ١٢١٧ يعني انهُ لم يحدث مثلهُ منذ ستمائة او سبعمائة سنة فتأمل

وبعد ان نزلت المياه الى حالتها الاولى عاد دجلة ففاض ثانيةً في السنة المذكورة (اي سنة ١٨٩٦) الّا ان الناس كانوا على استعداد مما يحدث في اوان فيضانه اي في شهر نيسان فلم يُضرّوا كما وقع لهم في شهر كانون الثاني. ومع ذلك فان دجلة حاول كسر الاسداد الّا انّ غضبهُ لم يدم طويلًا فانكسرت حدّتهُ بعد ضرر قليل لحق بالاهالي. هذا الكلام نقولهُ عن فيضان ٤ نيسان واما في ١٥ نيسان من تلك السنة فزاد الماء اكثر من سابق وعلا سطحهُ فوق سطح ارض المدينة فنزّت الارضون والسراديب وفاضت مياه الآبار واندفقت سوائل البلاليع واخرب دجلتنا ما كان قد زعزعهُ قليلًا في فيضانه في شهري كانون الاول والثاني. فتمّت الخسارة ومات خلق لا يحصى تحت الردم في الجانبين الشرقي والغربي

وفي ١٨ نيسان من سنة ١٨٩٨ فاض الفرات واغرقت مياههُ سهول بغداد وزروعها واخربت شيئًا كثيرًا من الدور الاعرابيّة

بقي علينا ان نذكر هنا فيضان دجلة في هذه السنة. فقد كتبنا في البشير ما هذا نصّهُ: «نهار الخميس ٢٨ آذار شعر البغادِدة بحرّ فجائي غير مألوف وخارق للعادة في مثل ذلك اليوم من الشهر المذكور لان درجة الحرارة بلغت ٢٥ من المقياس المئوي فتطيّر منهُ الناس وخافوا انقلابًا عظيمًا في الجوّ. وفي تلك الليلة وقع من المطر كميّة

عظيمة اثر رعود قصفت ولا قصف المدافع وبروق مزّقت كل ممزّق اديم السحب الركام فتزل المطر حتى تصوّرنا ان البحور علتنا وان نظام الكون قد تشوّش ودامت الامطار تتحدر مدة خمسة ايّام حتى فاض دجلة فيضانًا كسّر بهِ السدود وفاض على ضواحي المدينة فاغرقها واتلف الزروع كلها من حنطة وشعير وقد بلغ سنبلها الصدر. والباقلّى وغيرها من البقول التي قد أحصدت

واما الدور فسقط كثير منها على اهاليها فقتلتهم. ومنها ما نبّهت اهاليها على الفرار ففرّوا من هجوم المياه تاركين كل ما عندهم من اثاث البيت والخُرثيّ حتى عدّت النجاة من انفس النفائس. وقد دخل الماء عدة محلات وأحياء فاتلفها عن آخرها. امّا الموتى من انسان وحيوان فلا تحصى اذ ترى الجثث تطفو على وجه المياه وليس من يلتفت اليها. واغلب الهلكى من اهل البادية اذ فاجأهم الماء وعلاهم بدون سابق علامة او خبر. وكنت تسمع الجلبة والصياح في الليل كأنّ يوم القيامة قد جاء بهوله ولا يُعلم الى اين المفرّ. فلا ترى الّا ضوءًا هنا وامرأة مولولة هناك. وفي تلك الناحية حائط يدفن عشيرة باسرها وفي ذلك البستان يُسمع النُواح والعويل. والخلاصة ذكر مثل هذا التفصيل وسماعه ممّا يفتّت الاكباد ويسحق الصمّ الاصلاد

ومن غريب هجمات الماء انهُ علا مسنّاة دار القنصل الانكليزي سابقًا وهي من المسنّيات العالية ثم دخل الدار كلها فملأها هي وصحنها ومرافقها. ثم خرج الى الطريق فمنع المارّين من العبور حتى جاؤوا بقُفف وقوارب لكي يسيروا عليها. لا بل وطفح في الطريق ودخل البيوت من الجهة المقابلة للقنصليّة

ودخل الماء قنصلية فرنسة فوصل الى السراديب واتلف شيئًا كثيرًا من الاثاث والاوراق والدفاتر والكتب التي كانت موضوعة هناك. ودخل خانًا من خانات التجار فاتلف ما كان فيهِ من طحين وحنطة. وهكذا فعل بدورٍ كانت كالبدور فتحولت الى قبور ومجموع صخور وهكذا القول ايضًا في القصور المجاورة لدجلة فانهُ اخرب فيها شيئًا كثيرًا وحبس اهاليها فيها فلم يعد يمكنهم الورود ولا الصدور ولا المسير ولا العبور. وها نحن لا نعلم كيف نقضي هذه الايام ولا نعلم ان نكون من الغرقى او من الناجين رفق الله بعبادهِ المساكين. انهُ ارحم الراحمين واحسن معين ومستعين

وبعد زيادة دجلة فاض ديالى ايضًا وهو النهر الذي يسقي اراضي بُهرُز وبَعقوبا

والهُوَيْدِر فقد فاض فيضانًا لم يحدث لهُ مثيل الَّا منذ نيِّف وخمسين سنة. وقد غرقت بعقوبا والخُدَيث ونحوهما من القرى والضيع المجاورة لهما . ولمَّا كان السيل قد فاجأ الناس على حين غرَّةٍ منهم فقد اغرق من اهل البادية عددًا لا يُحصى وكذلك قل عن الحيوانات التي هي من توابع معيشة البدو دُون الحضر

وممَّا كان من قبيل ضغث على أبالةٍ ان الفرات ايضًا ثار ثائرهُ غيرةً وحسدًا فاتلف شيئًا لا يُقدَّر من زروع الحلة والديوانيَّة ودغَّارة والسماوة وغيرها. فكانت البلية اعظم البلايا. واجتماع الانهر الثلاثة وتحالفها وتعاقدها على اهلاك كل ما كان حيًّا في سقيها من الامور التي لم تحدث بعد في تاريخ هذه النواحي. فلم تبقَ سدَّة الَّا وانكسرت او انفتقت واخذ الفرات يُلقي مياههُ على دجلة واراضيه لانهُ اعلى منهُ ارضًا. وكذلك فاضت الترعة المعروفة بالرُستُميَّة فجاءت مياهها واغرقت بستان النقيب العظيمة مع الوزيريَّة والمشيريَّة وغيرها من الارضين الواسعة الاطراف. ثم جاءت المياه الى العلويَّة ومنها الى الاعظميَّة ثم الى مياه دجلة فاختلطت بعضها ببعض فجلَّ الخطب وعظم الرُزْء والناس تطلب الرحمة من الله والعَوْن من جوده وكرمهِ

واليوم ٦ أيَّار أخذت مياه دجلة بالتناقص . وامَّا مياه ديالة والفرات والرستميَّة فواقفة كأنَّها تنتظر اتمام الخراب وجرّ ذيل الويل على كل ما فيهِ بَعدُ ادنى بناء او عمارة. فنطلب من المولى ان يشفق بعبادهِ ويبعد عنهم غضبهُ انهُ الرحيم الكريم

الى هنا نوقف جري طرف القلم. زائدين على ما تقدَّم: انا لم نذكر من الغرق الَّا ما عثرنا عليهِ ونحن على يقين بانَّ دجلة قد اغرق هذه البلاد اكثر ممَّا ذكرناهُ. الَّا اننا لم نحصل على نصّ تاريخي يصرِّح بذلك وكثيرًا ما يسهو المؤرخون عن تدوين مثل هذه الامور كأنَّها غير مهمَّة في نظرهم. او لغاياتٍ اخرى نجهلها ولا يعلمها الَّا الله

الآثار الخطيَّة لتاريخ الكنائس الشرقيَّة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

هو الكتاب بل المعدن الثمين الذي استخرجهُ من دفائن المكاتب والسجلَّات الدوليَّة حضرة الاب انطون ربَّاط اليسوعي وها هوذا قد انجز مجلَّدهُ الاوَّل في ثلاثة اقسامٍ لا تقلُّ صفحاته عن ٦٦٨ من قطع الثُمن

ومن قلَّب باخفَّ نظر صفحات هذا السفر الجليل يأخذهُ الاندهاش ممَّا اودعهُ جامعهُ الفاضل من الآثار التي كان يتوق الى معرفتها أولو التفتيش وارباب البحث. فانهُ والحقُّ يقال لم يدَّخر وسعًا في الحصول على هذه الاوراق الخطيرة المصونة بكل احتراس في ضمن القماطير السريَّة التي لا يتَّصل الى مطالعتها غير خواصّ الافراد فمنها ما تمكَّن من استنساخهِ وناهيك بما يقتضي ذلك من التعب الشاقّ والسأم المملّ. ومنها ما حصل على رسومهِ الفوتغرافيَّة فلقي من مراجعتهِ عرق القربة. ومعظم هذه الآثار مكتوبة بخطوط دقيقة قليلة الايضاح كثيرة الاغلاط في لغات غربيَّة وشرقيَّة مختلفة وفيها من اللهجات القديمة ما لا يحلّ رموزهُ الَّا من عرف اصطلاحات وعوائد تلك الازمنة الخالية. هذا فضلًا عمَّا قاساهُ من العناء في الاسفار وتحمَّلهُ من النفقات الطائلة لبلوغ اربهِ. جازاهُ الله خيرًا

امَّا محتويات هذه الآثار فانَّها عبارة عن مجموع ثلاثمائة كتابة بنيِّف تشتمل على كلّ اصناف المكاتبات منها رسالات من وإلى الاحبار الرومانيين والملوك العظماء ورؤساء الرهبانيَّات. ومنها عرائض وسندات وصكوك وتقارير شتى. ومنها اخبار رحلٍ وتدوين اعمال سُفراء. ومنها وصف حوادث جليلة وبيان امور اثيرة كمجامع وبراءات سلطانيَّة وغير ذلك ممَّا لا تخفى فائدتهُ على احدٍ. وهذه الآثار تمتدُّ من اواسط القرن السادس عشر الى اواسط القرن المنصرم اي نحو ثلثمائة سنة كتبها بطاركة الطوائف الشرقيَّة واحبارها الاجلَّاء. وقناصل الدول ورؤساء الرهبانيَّات والمرسلون وغيرهم كثيرون فيرى القارئ نفسه في حديقة غنَّاء واسعة الخيرات وافرة الغلَّات لا يجني ثمرًا حتى يصيب ما هو اطيبُ منهُ وألذّ طعمًا. يتحوَّل مع الكتَّاب من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر فلا يعاني السأم ولا يذوق الملل وهو ينالُ من كلّ حسن طُرفةً على وفق القول:

لن يصلح النفسَ ان كانت مدبَّرةً الَّا التنقُّل من حال الى حالِ

ولم يكتفِ حضرة متولي نشر هذا الكتاب بادراج تلك المآثر بل احبَّ ايضًا زيادةً في الفائدة ان يذيّلها بعدَّة ملحوظات تهدي القارئ الى فكّ مشاكل عديدة ودفع الشبهات عن امور مبهمة. كما انهُ احرز لهُ شكرًا آخر بما اضاف اليهِ من الفهارس الحسنة التي تقرِّبُ المطلوب لطالبهِ وتجعل الثمر طوع راغبهِ

وها نحن نبيّن في الاسطر التاليــة بعض ما يُستفاد من هذا التأليف وليس لدينا منهُ كما سبق القول الّا المجلّد الاوّل ويليهِ عدّة مجلّدات ليست دونهُ فائدة تستوفي كثيرًا من الابحاث التي اكتفى الآن حضرة الجامع بفتح ابوابهـا فمن الله نطلب ان يوفقهُ على انجازها قريبًا

انَّ الفوائد التي يمكن اجتناؤها من هـذا المجموع النفيس على صنفين منها دينيَّة ومنها علميَّة نفرد لكل قسم منهما بابًا

١

الغاية الاولى من نشر هذه الآثار خدمة الدين كما يظهر من عنوان الكتاب ويلوح من كل صفحة من صفحاته. ولو شئنا لامكنَّا ان ندعو هـذا التأليف بتاريخ الكنيسة الكاثوليكيَّة في الشرق مدَّة القرون الاخيرة فترى ما للاحبار الرومانيين من الهمَّـة البعيدة في دعوة الطوائف الشرقيَّة الى الوحدة ومساعيهم الطيّبة في مساعدة البائسين وهداية الضالّين وارشاد الجيّال لا تأخذهم في ذلك لومة لائم ولا يثبط عنايتهم شيء من المشاقّ او النفقات فيوفدون الوفود الى الموارنة (ص ١٤٠–١٧٤) والى السريان (٩٤–١٢٥) والى الروم الملكيين (١٨٣ و٥٤٥) والى الاقبـاط (١٩٤–٣١٥) ويكاتبون بطاركتهم وزعماءهم. وفي كثير من هذه الآثار ما يبيّن صريحًا انَّ آمالهم لم تذهب سدًى فانَّ في هذا المجموع عدَّة رسالات تشهد باكرام الكرسيّ الرسولي واعتراف الشرقيين برئاسة عظيم الاحبار كما ترى في رسالة البطريرك ميخائيـل الرزي الى البابا غريغوريوس الثالث عشر (ص ١٢٠) وفي كتاب روم طرابلس اليهِ (١٨٣) وهناك ايضًا بالتفصيل اخبار النهضة الدينيَّة التي جرت في سوريَّة وخصوصًا في حلب في القرنين السابع عشر والثامن عشر فكانت نتيجتها نهضة اربع طوائف كاثوليكيَّة محضة خاضعة الخضوع التامّ لرأس الكنيسة المنظور اعني الكلدان ثم السريان ثم الارمن ثم الروم الكاثوليك الملكيين فصار لكل طائفة نظامهـا الديني وسلسلة بطاركتها واساقفتها مع حفظ طقوسهـا القديمة. ولم يتمّ ذلك الّا بعد المعاكسات والاضطهادات وصنوف العذابات التي انتهت اخيرًا بفوز تلك الطوائف بالسلام الوفيّ في ظلّ الاريكة السلطانيَّة المعظمة. ومما يزيد في شأن هذه الاخبار أنَّها سُطِّرت في يوم حدوثهـا بيد كتبة عيانيين مختلفين تتدفّق الحقيقـة من سطورهم مجرَّدةً عن كلّ زخرف الكلام

وتزويق التعبير فتظهر تلك الطوائف الجليلة نامية شبه حبّة الخردل تبدو اوّلاً ضئيلة زهيدة ثم تضحي كالشجرة الباسقة الافنان الوارقة الاغصان وقد جرى ذلك للسريان الكاثوليك باقامة البطريرك اندراوس اخيجان (١٦٦٧–١٦٧٨) وخلفه اغناطيوس بطرس (١٦٧٨–١٧٠١) ثم للروم الكاثوليك بتنصيب البطريرك كيرلُّس تاناس. ثم للارمن بتوجيه الرتبة البطريركيّة لابراهيم ارزيفيان (١٧٤٢).

وان انتقلنا الى كل طائفة بمفردها وجدنا في هذه الآثار تفاصيل عديدة تفيد تاريخها وشؤونها الملّية مرويّة بقلم المعاصرين كاخبار الوفد اليسوعي الى الموارنة اوّلاً سنة (١٥٧٨–١٥٨٠) وثانياً سنة (١٥٩٥) وتقارير مجمع قَنّوبين المعقود سنة (١٥٨٠) ووصف رسالات متواترة بين الموارنة في لبنان وسواحل الشام وحلب وقبرس وجزائر اليونان وجبل اثوس في قرن السابع عشر والثامن عشر. ومثلها سفارة اليسوعيين الى بطريرك الاقباط من السنة ١٥٦١ الى ١٥٦٣ وكتابات متعدّدة في احوال الروم والارمن والسريان والكلدان والحبشة ونصارى مليبار تجدها متفرّقة في هذا المجموع تصف احسن وصف امور هذه الطوائف واحوالها الدينيّة والمدنيّة

ويلحق بذكر الطوائف الشرقيّة اخبار اعمال المرسلين في انحاء الشرق. فانّ قسماً كبيراً من هذا الكتاب يتضمّن وصف مآثرهم من تبشير وانذار وتعليم وتشكيل جمعيّات تقويّة وانشاء اخويّات وتصنيف تآليف دينيّة وعلميّة وخدمة المرضى والسجناء وتهذيب الاحداث الى غير ذلك ممّا يشهد ما للجماعات الرهبانيّة من الايادي البيضاء في جهات الشرق. وليست هذه الكتابات للمرسلين وحدهم بحيث يمكن ان تُنسب لهم الاغراض او المبالغة في اقوالهم بل منها ما هو لرؤساء الطوائف وارباب الدين والسفراء وقناصل ورحّالين يروون بالنزاهة ما يرون ويسمعون فيطنبون في اعمال المرسلين الفرنسيين والكبوشيين والكرملتان واليسوعيين وان وجدوا في سيرتهم مغمزاً اشاروا اليه بلا تقيّة ولا خوف لظنّهم غالباً انّ هذه الكتابات تبقى سرّيّة لا يطّلع عليها سوى اصحاب الامر

وهنا كنّا وددنا لو سمح لنا المكان بتلخيص بعض هذه المآثر الجليلة التي انعشت في قلوب الشرقيين روح الايمان بل افاضت فيهم حياة جديدة بعد خمود الهمم وارتخاء العزائم وانتشار الاضاليل والبدع والجهل المركّب حتى اضحت النصارى في حال يُرثى لها

منذ مئين من السنين . فلمّا جاء هؤلاء الدعاة والفعَلة النشطاء في كرم ربّ البيت لم يلبث الزرع أن أتى بالثلثين والستين والمئـة وليس ذلك في مكان او قطر واحد بل في انحاء الشام ومصر والجزيرة والعراق والعجم وبرّ الاناضول والاستانة العليّة وقبرس . وكذلك يطول بنا الكلام لو عددنا مناقب بعض المرسلين فنحيل القرّاء الى مراجعـة تراجم بعضهم في هذا التأليف كالاب برونو الكرملتاني (٤٣٥) والاب سلوستروس الكبوجي والآباء اليسوعيين حبيب شـازو (٨٧) وجان امير (٤٢٢) وهيرونيم كوارو (٦٦) والاب يوحنا اليانو (١٩٥) وغيرهم . وهناك ايضاً تراجم أخرى مهمّة كترجمة رجل الله ناوفيطوس نصري اسقف صيدنايا (٥٩٧) وسِيَر بعض افاضل العلمانيين (٧٣-٧٧)

وأولى من هذه التراجم وصف شهامة بعض الشهداء وثباتهم في الدين حتى المات كخبر استشهاد احد الاقباط في جرجه (١٧) واستشهاد الاب ابرهيم جرجي المارونيّ اليسوعيّ في مصوَّع (١٧٤) ودير غرميداس الارمني في القسطنطينيّة (١٢٦) وبعض الاعجام في اصفهان (٤٤٨) وداود الرومي الملكي في حلب (٤٥٧) وكلّ هذه الاخبار لا تـكاد تجد لها ذكرًا في اوسع التواريخ المسيحيّة

٢

أجل أنّ هذا المجموع لفريدٌ في محتوياتهِ وآثارهِ الدينيّة الجليلة التي من شأنها ان توقف القارئ على نفوذ الكنيسـة الكاثوليكيّة في بلاد الشرق وانتشارهـا في جميع البلاد الخاضعة لسيطرة سلاطين آل عثمان أيّد الله شوكتهم . لكنّ هـذه الكتابات ليست محصورة في الدين بل يجتنى منها فوائد جمّة يحتاج اليها كلّ من يحبّ الاطلاع على احوال هذه البلاد في القرون الاخيرة . وها نحن نلخّص بعض هـذه الفوائد بيانًا لخطرها

١ (التاريخ) يستفيد المؤرخ من هذه الآثار معلوماتٍ لا يجدها في الكتب الموسّعة ليس فقط من حيث التاريخ الدينيّ لكن من حيث المدنيّ ايضاً فمن ذلك انشاء السفارات الدوليّة في الاستانة العليّة والقنصليّات في حواضر البلاد العثمانيّة كدمشق وحلب وصيداء وقبرس والقدس الشريف خاصّةً مع بيان عدّة امور منوطة بهذه القنصليات وتعريف اصحابها . وكان التقدّم في ذلك لفرنسة خصوصاً ثم للبنادقة ثم للانكليز ثم

للهولنديين ثم للالمان فيسعى الموظفون في تنفيذ صوالح دولهم والتقرُّب الى السلاطين العظام بحسن سياستهم . وفي رسائلهم ما يُشعر بالوسائل التي يتوسّلون بها للفوز بالمرام وربَّما تنازعتهم العوامل المتباينة من خوف ورجاء وشدَّة ورخاء مع التفاني في خدمة مرؤوسيهم . وكذلك يتكرَّر في هذه المراسلات ذكر بعض الولاة والامراء وكبار الرجال ممَّن لعبوا في حوادث تلك الاعصار ادوارًا مهمَّة كفخر الدين المعنيّ واحمد باشا الجزَّار وابي ذهب وظاهر عُمَر وغيرهم من المشاهير الذين شاع اسمهم في التاريخ

٢ (الجغرافية) في هذه التقارير والمكاتبات افادات لا تُحصى عن البلاد الشرقيَّة . والمرسلون في تسطيرها يجارون غيرهم من الكتبة وارباب الرحل لحرصهم على تعريف الاقطار ووصفها بدقَّة فتارةً يعرّفون حدود البلاد وتارةً يعدّدون ملحقاتها وحينًا يصفون عجائبها من قصور وابنية وبيع ومناظر طبيعيَّة واعمال صناعيَّة او يتَّسعون في ذكر زراعتها وغلاتها ومداخيلها . ولم يكتفوا بتعريف البلاد عمومًا بل لم يكادوا يضربون الصفح عن مدينة من مدن الدولة العليَّة كدمشق (ص ٦٤) وحلب (٤١ و٣٨٣) وبيروت وطرابلس (٤٣) وصيداء (٤٤) وكذلك مصر ومدنها (٩–٢٩ الخ) وقبرس (٣٩٣) وجبل اتوس (٤١٣) وجهات العراق والحبش وارخبيل اليونان والمغول وانحاء العجم بحيث يمكن اعتبار هذا المجموع كسياحة عظيمة في اقطار الشرق مع بيان احوالها ووصف خواصها

٣ (الآداب والعلوم) انَّ المرسلين لم يفصلوا قط العلم عن الدين لانَّهُ ثبت لديهم انَّ العلم اذا كان مبنيًّا على المبادئ الصادقة يؤيد الدين فضلًا عن انهُ لا يضرُّ به البتَّة . ويظهر من مجموع هذه الكتابات انَّ دُعاة الدين حيثما حلُّوا انشأوا المدارس للاحداث وكثيرًا ما ورد في رسائلهم ذكر المدارس التي أداروها في حلب (ص٣٧٩) ودمشق (٥١) وصيداء (٤٠٥) وبغداد (٥١٣) ومصر (٥١٩) . ومنهم من كان يخصُّ نفسهُ لهذا الشغل الشاغل فيهذّبون الاولاد طول ايامهم كالاب كوارو والاب شيزو . وكانوا يسعون ايضًا بارسال البعض من نجباء التلامذة الى رومية وباريس ليعلّموهم اللغات ويتقنوا تربيتهم حتى اذا عادوا الى بلادهم خدموا وطنهم خدمةً صادقة (٥٧١) وفي هذا المجموع فصلٌ واسع في ذكر هؤلاء الاحداث

ومَّما يدلُّ ايضًا على همَّة المرسلين وسعيهم في تعزيز العلوم ما ورد ذكرهُ في عدَّة

رسائل مدوَّنة في هذا الكتاب اعني التآليف المتعدّدة التي صنَّفوها في العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة منها دينيَّة ومنها علميَّة لم يُطبع منها الَّا النزر القليل

٤ (علم الاخلاق والعادات) هو علم مستحدث يطرنهُ اليوم الكتبة العصريُّون ولم يَنسَهُ عنهُ المرساون. ففي الآثار التي نشرها حضرة الاب ربَّاط اوصاف عديدة دوَّنها أُولئك الكتبة في تعريف اخلاق الشعوب الشرقيَّة وما ألفوهُ من العادات في اكلهم وشربهم ولبسهم وحياتهم الاهليَّة وخرافاتهم وتصرُّفهم مع مواطنيهم ومع الاجانب وكلُّ ذلك على طريقة شائقة تجمع بين اللذَّة والفائدة

وفيها ايضاً عادات ومعتقدات بدع شائعة في الشام والجزيرة كاليزيديَّة (٥١٢) والشمسيَّة والبانيان (٥٦–٥٧) واليهود (٦١ و ٤٩٥) وبعض الجمعيَّات السريَّة (١٣٤). ولا يخفى ما في هذه الاوصاف من الفوائد لمعرفة الاقاليم وللاستدلال على سكَّانها ومللهم ونحلهم

٥ (التجارة والصناعة) وممَّا يُجتنى ايضاً من هذه الكتابات معلومات شتّى في تجارة الشرق وصنائع اهلها وفنونهم. وكان المرساون لا يأبون من تدوين ملحوظاتهم في ذلك ليس طمعاً بالمال لانفسهم وقد زهدوا بالدنيا بل لافادة مواطنيهم في اوربَّة ترويجاً للتجارة الدوليَّة نخصُّ بالذكر رسالةً وجَّهها الكبوشيُّون (٥٠٦–٥١٦) الى وزير فرنسا كولبار سنة ١٦٧٠ يصفون فيها التجارة الشرقيَّة وصادرات الشرق الى الغرب والواردات من الغرب الى الشرق

هذا نظر خفيف في بعض ما يُستفاد من هذه الآثار القديمة التي كان بودّنا ان ننقل عنها نتفاً مستطرفة ليقف القرَّاء على شيء من مضامين ذلك السفر الجليل لكنَّ ضيق المقام يقضي بالاجتزاء بالقليل . وفي الختام نكرّر آيات الشكر لحضرة الساعي بنشر هذه الدفائن متمنّين لصدور الاجزاء التالية باقرب وقت

الذكرى فوق ربى لبنان

بقلم « الشقيق »
احد المتخرجين في كليتنا

. . . وكانت الشمس ترسلُ سهاماً من النورِ مرهفة الحدّين فتتكسر على الصخور الناتئة وتطير شعاعاً فتقع شظاياها المحرقة على العشب الاخضر فيذبل ويذوي . .

على هذا العشب كنتُ اسيرَ الهوينا مستنداً على ذراع صديقٍ لي رقيق الحاشية عند اصيل نهارٍ في غرّة آب الحالي . . . امامنا البحر صافٍ كالمرآة ينعكس بهِ خيال بعض قوارب الصيد وقلوعها البيضاء الناصعة وعلى اديمهِ بعض الطيور الغوّاصة جاثمة بهدوء تكاد لا تتحرّك . وفوقنا سماء لا غيم يعكّر صفاءها زرقاء نقيّة . وعلى اليمين المركز البطريركي تكتنفهُ غابة من الصنوبر جميلة خضراء وهو في وسطها ابيض يشعُّ زجاج نوافذهِ تحت الاشعة الشمسيّة فكأنهُ لؤلؤة في وسط صفحة من الزبرجد . . . وعلى الشمال سلسلة متتابعة من القلل جرداء قحطاء ترى عليها من مسافة الى أخرى بعض شجيرات خرّوبٍ او بلّوط منفردة يأوي اليها الطير اذا ما عسعس الافق وهجمت جحافل الظلام

وقفتُ ووقف رفيقي يسرح البصرَ في هذا المشهد وكان نسيمٌ عليل نسيم آخر النهار يتلاعب باعطافنا فانصتنا لنسمع حديثه اذ للنسيم حديث رقيق لا يعيهِ الّا ذوو القلوب المقرّحة . . .

وكنت انا اسمعهُ ! . . .

وقفةٌ ذكرتني بايامٍ مضت « ما كان احلاها واشهاها » . . .

منذ اربع سنوات كنت اقف مثلها والى جانبي شقيقٌ لي في ريعان الشباب طيب النفس رقيق القلب يلحظني باعينهِ النُجل ويبسم لي بفمٍ ظريف فتنجلي لي الدنيا بمرأى جبينهِ الوضّاح وشعرهِ الكستناني المصقول البرّاق . . .

خُلقَ شاعراً فظلَّ مدّة حياتهِ القصيرة مشغوفاً بالشعر والشعراء . تغنّى بهِ كما يتغنّى الطائر لطلوع الفجر حتى اذا بلغَ ضحى عمرهِ انقطع صوته . . . ناجى زهور الحقل فسامرته ولمّا كان آخر النهار ذبلت فلم يشأ ان يخالفها فعاش ما يعيش الورد فصلَ الربيع

كم قضينا ساعات وانا متكئٌ على صدرهِ وهو يطلعني على اسرار الطبيعة المكنونة اسرار لا يعلمها الّا القليلون فينفتح صدري وتنتعش نفسي وتهتزّ عظامي طرباً ... في تلك الوقفات كان يُلقّنني لغة الطيور اذ تتصايح عند الغروب وهي ترفرف فوق رؤوسنا او تمرّ كالسهام فتمزّق اديم السماء الزرقاء وتخدّده تخديداً ... هناك كان يترجم لي ما كان النسيم يوحي بهِ اليهِ من الاسرار اللطيفة اذ يهبّ اصيلاً فيتلاعب بشعرهِ الناعم ويُغازل جبينه الابلج . ويعلّمني ما يقولهُ البحر عند دمدمتهِ وما يتهدد بهِ الصخور عند هياجهِ اذا تعالت امواجه فهدر وزمجر ...

الى جانبه وعلى قلبهِ الحنون تعلّمت كيف ارقّ للضعيف واشفق على ذوي البأساء. محاورات بيننا جرت ومحادثات انطوت . اخذتُ عنهُ كل ما يأخذه الاخ المسيحي عن اخيهِ البكر من الافكار الشريفة والمعاني الرائعة الشعريّة والاقوال الادبيّة اللطيفة فاستنرتُ بها واتّعظت وكان لي خير منيرٍ وواعظ

ألا وهو اليوم اوعظ منهُ في حياتهِ ... ضجيع الثرى . ذبلت زهرة شبابهِ النضر وذوى غصن حياتهِ الغضّ كما ذوى هذا العشب الذي اطأه ... فرحمة الله على الشقيق الذي ثوى وطوته الارض ... كان وكأنهُ لم يكُن ...

*

مرّت هذه السنوات الاربع في مخيّلتي فكأني اراها بكل ظروفها . انّما مرّت كالبرق الخاطف فظللت اتبعها بفكري وقد شُغفت بها وهي تهرب مسرعة وانا اجهد النفس بالتشبث ببقاياها لعلّي اجد سلوةً وعزاء في تذكار حوادثها . فاشرأبّ عُنُقي وتصبّب جبيني وحبستُ نَفَسي وانا لا اعي لئلّا يعوقني زفيرهُ وشهيقهُ عن اللّحاق بالتذكار ... انّما صور الماضي تمرّ سراعاً

فما عدت الى ذاتي الّا وصديقي تنحّى عني تأدّباً واحتراماً لعواطفي واشجاني. فانقبضتْ نفسي وذبلت عيناي وحسستُ بان ناراً يتأجج سعيرها في كبدي وان روحي قد بلغت التراقي . فصرختُ: يا لله ما هذه الحالة ... ان قلبي كاد ينفطر لدى هذه الذكرى ... فدعنا نفرغ على القرطاس ما يكنّهُ الفؤاد فيخفّ عبئهُ

قلت . وجلست على صخرة مطرقاً واجماً . ثم كتبت :

طوّق الحزنُ فؤادي بلهيبٍ ومَجامر
مثلما طوّقَ ازنا دَ الفُتَيّاتِ اساور
ورماهُ الدهرُ من أسهمهِ رميَةَ غادر
ليسَ بين الاوليـين نظيري .. والاواخر
من فؤادٍ حرّهُ الشوقُ بنيرانِ الهواجر
وجنانٍ قد اصابتـهُ الملمّاتُ النوادر
كيفما ملتُ ارىَ فوقي البلايا كالكواسر
من يقي المسكين اني صرتُ مثل الضبِّ حائر
اي وربِّ العرشِ مَن يعرفُ ما ضمن السرائر
لم اعد اعرف ما بي لست ادري اين سائر
أإلى عيشٍ رغيدٍ ام الى جوف المقابر
جمجم النير وجفني لا يزال الليلَ ساهر
ولذيذُ العيش عندي يومُهُ اصبحَ نادر
ما حياةُ المرء في الدنيا سوى عبرةِ عابر
ايها العابرُ في ارضِ الشقا والحزنِ . حاذر

وكان صديقي يرعاني عن بعدٍ فهلعَ لما رآهُ من تغيّر سحنتي وانقلاب هيئتي فاقترب مني ووقف ... فرفعت اليهِ اعيناً كاد ماء الحياة ان يجمدَ فيها وتلاحظنا هنيهة فرأيت عينيه مملوئتين حناناً واشفاقاً كانهما يسألاني ما اكتب. فمددت لهُ الصحيفة وقلت وقد خانني الجلد: شعرٌ ... شعرٌ

فعرف الموضوع وحوّلَ عني نظرهُ فرأيت على ضياء آخر اشعة الشمس الصفراء دمعةً ترقرقت في مقلتيهِ وسالت على خدّيه الموردين ... ثم ساد السكوت كانّ على رؤوسنا الطير

وكانت الشمس قد لامست البحر فصبغت مياههُ بلونٍ ارجوانيّ قانئ وانطفأ نورها فاصبحت كقرصٍ من الدم مريعٍ تحيط بهِ هالة كامدة اللون. وهي بقايا انوار ملك النهار تتطاير من كبدهِ وتنتثر حولهُ فتُخبرُ عن مجدهِ السالف في مملكة الفضاء. وتقول: «الوداع ايها الفرحون بنوري فان نوري زائل. الوداع ايها المحزونون لذهابي ان البقاء لمن لا اولَ لهُ. الوداع يا ابن البشر انت اليوم هنا وغداً في دار البقاء .... كما اطفأتُ انواري وسأتوارى في البحر. هكذا سينطفئ نور حياتك وتخمد نار الشباب والصبا بين جوارحك ويضمّك الثرى ... فانظر الى الابديّة ...»

ثم غابت . . . واذا بصورة شقيقي العزيز وهو منتصبٌ بازاء عيني فسمعتهُ يقول: قد غبتُ انا ايضاً عن العيان فلا تبكني . . . انتظرك في دار الخلد فايّاك ان تحيد عن طريق الفضيلة فنجتمع في مصافّ الابرار دون فراق . . . هناك »

واذ ذاك قُرع بالقرب منا ناقوس ديرٍ للراهبات قرعاً خفيفاً ايذاناً بالتبشير الملائكي . فلم اعِ على نفسي الّا وانا جاثٍ على الحضيض بين ذراعي صديقي ورأسي بين يديَّ اردّدُ هذه العبارات بكل هدوّ وسكينة: « اللَّهمَّ انت وحدك الباقي فاجمعني مع الاحباب . . . هناك »

(المشرق) لمّا كان المثل بالمثل يُذكر احببنا ان ننقل هنا مخمّساً للاديب اسعد افندي رستم ورد في جريدة المهاجر الامركيّة وصف فيهِ الشاعر جنازتي غنيّ ففقيرٍ ثم ختمهُ احسن ختام:

تضايقتُ من غوغا المدينة مرةً وقد اصبحتْ فيها المعيشة مرّةً
فجئت حقولًا غضّةً مسطرةً تعيش بها النفسُ الابيّة حرّةً
وتأمن من شرّ النفوس شراكا

صعدتُ الى تلٍّ رفيعٍ مقابلِ وقد ظهرتْ في البعد ابراج بابلِ
اشارت تباهي ربّها بانامل فنالت غيومي من دخان المعامل
ويا ربّ ما هذه السماء سماكا

وحوّلت عيني نحو حقل مزيّنٍ فابصرت فيهِ مدفناً اثر مدفنِ
رخاميّةٌ اجداثهُ لقد اعتُني بها وبها لا يدفنون سوى الغني
مقدّسة تقضي بخلع حذاكا

هنالك ما بين المدينة والردى وقفتُ أُجيل الطرف في كل ما بدا
فمن جهة ساد السكون مؤبّدا ومن جهة اخرى القنوط والاعتدا
يزيدان بين العاملين عراكا

وفيما انا مستسلمٌ للتأملِ بدا ليَ جمع سائر بتمهّلِ
جنازةُ انسان غنيٍّ مبجّلِ يُقلُّ بنعشٍ بالزهور مكلّلِ
يقول لهُ الجمع: النفوس فداكا

وما وصلوا حتى انبرى الشعراء بتنميات القول والخطباء
فكان مديحٌ منهم ودعاء وكان عويلٌ بينهم وبكاء
وفيهم من يبكي ومن يتباكى

نمادوا وكلٌّ يمسح الدمع مسحةً ... وللميت في الفردوس يطلب فسحةً
يقولون أولاك المهيمن رحمةً ... وبعدك اعطانا من الصبر نعمةً
وبلّل بالرضوان منهُ ثراكا
ولم يختفوا حتى رأيت ثلاثةً ... يقلّون نعشًا طرقين كآبةً
وأمًّا وطفلًا يبكيان مرارةً ... وكلبًا الى التابوت ينظر تارةً
وطورًا اليهم ينثني حراكا
وما لبثوا ان اودعوا الميت حفرةً ... بعيدًا ومنهم من يصعد الحزن زفرةً
وعادوا فلا راثٍ يردّد شهرةً ... ولا ذارفٌ غير الثلاثة عبرةً
ولا قال الأُمّ: نودُّ بقاكا

✲

فقلت: لقد عاش الغنيُّ مكرما ... ومات فواروهُ الضريح المفخما
أما لفقير جائعٍ وطنٌ أما ... سألتُ المحي والتفتُّ الى السما
فجاوبني صوتٌ يقول: هناكا ...

نشرة علميَّة

لـلاب لويس شيخو اليسوعي

ان ترقي العلوم في أيامنا متواصلٌ لا تكاد تجد علمًا واحدًا الّا تتناصر الاخبار في تعداد اكتشافاتهِ ولو شئنا ان ندوّنها في كل اعداد المشرق لضاقت عن حصرها. وها نحن نذكر بعض ما تهمُّ قرَّاءنا معرفتهُ ممَّا اكتُشف في السنة الجارية مقسّمين ذلك الى ابواب عموميَّة

١ العلوم الطبيعية

﴿ المراكب الجويَّة ﴾ انَّ الاختبارات الجديدة التي اجراها قومٌ من الفرنسويين والالمان في هذه السنة قد حلّت نهائيًا ذلك المشكل العظيم الذي حاول العلماء ازالتهُ منذ الوف من السنين ولاسيما في اثناء القرن المنصرم اعني مجاراة الطير في ركوب الهواء وتسيير المراكب الجويَّة في فضاء السماء على طوع مشيئة راكبها. وكان السابق في هذا الميدان احد الفرنسويين الذي منذ خمس سنوات لا يزال يذلّل الصعاب ويمهّد كلَّ العقبات حتى اصاب المرمى نريد المسيو ليبودي (المشرق ٧: ١٣٦) : فانَّ المناطيد التي جهَّزها

قد ارتفعت مراراً الى الجوّ وقطعت مسافات بعيدة بمعدَّل ٤٣ كيلومترًا في الساعة ودارت كما شاء صاحبها ثم حطَّت جاثمةً الى الحضيض بكلّ هدوّ بحيث لم يبقَ ريبٌ لاحد في فوزهِ بالمرام وكان المركب الذي ركبهُ المرَّة الاخيرة كسفينة بحريَّة طولهُ ٦٠ مترًا في عرض عشرة امتار . اما حجمهُ فبلغ ٣١٥٠ مترًا مكعبًا وهو المدعوّ باسم الوطن (لاباتري) . وقد اسرعت الوزارة الحربيَّة في فرنسة الى انشاء مناطيد مثلهُ خصَّتها بادواتها الحربيَّة ونظَّمت لها رجالًا يركبونها جعلتهم قسمًا من جيشها

وممَّن يشاطر ليبودي فخرهُ في ركوب الهواء عالمان فرنسويَّان آخران وهما الكنت دي لاڤو (de la Vaux) الذي جهَّز منطادًا دعاهُ باسمهِ اجرى فيهِ امتحانات عجيبة على مثال ليبودي . وكذلك دوتش دي لامرت (Deutsch de la Meurthe) اصطنع بالونًا دعاهُ باسم « مدينة باريس » استلفت اليهِ انظار العلماء فاثنوا على مشروعهِ

فكان لهذه الانباء وقع سيّئ في الدول الراصدة لتقدُّم فرنسة لاسيما المانية فتنشَّطت احد علمائها على مجاراة الفرنسويين في ذلك وهو الكنت زبلين (Zeppelin) فلم يزل يكدّ ويجدّ حتى توفّق الى بلوغ اربهِ فاصطنع بعد الفرنسويين ببضعة اسابيع مركبة هوائية طولها ١٢٨ مترًا وعرضها ١١ مترًا و٧٠ سنتيمترًا وسعتها ١١,٢٣٠ مترًا مكعبًا وقد جعل هيكلهُ من الالومينيوم وقسمهُ الى ١٦ قسمًا في كل قسم منطاد ينفخهُ المدروجين وجعل لهُ في مؤخرهِ اجنحةً تسندهُ في طيرانهِ . وفي باطنهِ آلتان محرّكتان قوّتهما ٨٥ فرسًا بخاريًّا . اما الركَّاب فيجلسون في مركبتين معلَّقتين في راس المنطاد وفي ذنبهِ يركب الاولى اربعة رجال والثانية خمسة . وهذا البالون الجديد دُعي باسم مكتشفهِ وامتُحن في حزيران وتموز مرارًا فوق بحيرة كُنستانس في سويسرة . فكانت النتائج كلها حسنةً جدًا فانَّ مركبة زبلين امكنها ان تقطع مسافة ١٥ مترًا في الثانية اعني ٧٣ كيلومترًا في الساعة . فتكون سرعتها اعظم من سرعة مركبة ليبودي . اما علوُّها فبقي في طبقة واحدة على ارتفاع ٨٥٠ مترًا فوق سطح البحر . وكذلك امكن صاحبها ان يقاوم هجمات الريح فكل هذه النتائج تضمن لالمانية مجاراة فرنسة في ملك الهواء . والله اعلم بما يحدث من جرَّاء هذه الاكتشافات من الماجريات والحوادث الخطيرة فنسأل الله ان لا يستعملها اصحابُها الَّا لفائدة البشر وترقية المدنيَّة الصحيحة

✤ التصوير الشمسي الملوَّن ✤ يذكر القرَّاء ان حضرة الاب دي انسلم في آخر

مقالته عن فن التصوير افرد فصلًا لفن التصوير الملوَّن المعروف بالكروموفوتوغراف (المشرق ٥ : ٢٩ - ١٠٣١ - ١٠٣١) فذكر هناك ترقّي هذا الفن واصوله وطرائقه المكتشفة الى اواسط السنة ١٩٠٦ وكان الكاتب يعقد الامل على قرب اطلاع العلماء على طريقة سهلة المنال لرسم المصوَّرات الطبيعيَّة بالوانها . وقد حقّق الله هذه الآمال على يد احد افاضل مدينة ليون في فرنسة سبق لنا ذكره (٥ : ١٠٢٩) بين محسني رسم الصور المتحركة اعني به الموسيو لوميار (Lumière) فقد توصَّل الى اصطناع صفائح حسَّاسة يمكنها ان ترسم الصورة بكل الوانها الطبيعيَّة ليس بتعدُّد الحواجز الملوَّنة كما فعل ليبان (Lippmann) او باصطناع ثلاث صور ماوَّنة الوانًا مختلفة تُضاف الى بعضها كما فعل كروس (Cros) ودوكوس دي هورون (Ducos de Hauron) ولكن بمزيج خاص وذلك انهُ يتخذ لُباب البطاطا فيفرز منها دقائقها التي يبلغ قطرها من ١٥ الى ٢٠ ملمتر الملمتر فيقسمها ثلاثة اقسام ويصبغها بثلاثة الوان معلومة برتقالي فاخضر وبنفسجي ثم يمزجها مزجًا تامًّا بحيث تظهر للعين بعد مزجها قريبة للون الابيض فيمدّ هذا الذرور المنعَّم على صفيحة من الزجاج مطليَّة بطلاء غروي ثم تُعرض الصفيحة على النور ثانية من الوقت او ثانيتين ثم تُجعل في المغطس كبقيَّة الصور الفوتوغرافيَّة لاظهار الصورة بالوانها واثباتها على الصفيحة فيراها الناظر بالوانها الناصعة كما هي في الطبيعة تامًّا . ولا يعمل فيها النور الخارجي الَّا بعد زمن طويل فتبور . لكنَّ هذه الصورة لا تكون الَّا مفردةً وحيدة لا يمكن تكثير نسخها وان شاء الله سيجد المكتشف طريقةً لسد هذا الخلل

﴿ التلغراف بلا سلك ﴾ سبق لنا وصف اتساع نطاق هذا الاكتشاف وتعدُّد محطَّاته (ص ٥٧٤) . ومن فوائده التي استفادوها منهُ آخرًا توحيد الساعات في امكنة متباعدة عن بعضها فانَّ المحطة الباعثة تُعلم بالساعة المضبوطة لانحاء البلدة فتدار الساعات كلها على نظام واحد . ولا يخفى ما في ذلك من المنفعة للاشغال التجارية وغيرها لا بل اخذت حكومة كندا ان تُرسل الى السفن التي في البحر اعلامًا بالساعة الاولى التي تُرصد في مرصد حاضرتها

٢ الكيميا

رزئت العلوم الكيمويَّة باحد كبار ائمتها مَرسلين برتلو الذي تُوفي في ١٨ آذار الماضي

في ذات اليوم الذي قضت فيهِ زوجته كأنهُ مات اسفاً عليها . وكان برتلو منذ نصف قرن ممثلاً لعلم الكيمياء في كل اقسامها حتى تاريخها القديم بين اليونان والسريان والعرب لهُ في ذلك مصنفات غاية في الشأن وقد ابرز من ذلك آثاراً فعرّف ما وقف عليهِ القدماء من اسرار الكيمياء وافرز بين غثها وسمينها . امَّا هو فانهُ عدَّة اكتشافات مهمة توصَّل اليها بشغل متواصل وثبات عجيب . ومرجع اكتشافاتهِ الى امرين : الأوَّل تركيب اجسام آليَّة كالحامض الخلّي والكحول والبنزين من عناصر اوليَّة فاغنى الكيمياء بمركبات جديدة كثيرة الفوائد وسهَّل طرق تركيبها . والثاني وضعهُ لاركان علم جديد يُعدُّ كفرع فنّ الكيمياء وهو علم الترمو كيميا (Thermochimie) اي فعل الحرارة في تركيب الاجسام وتحليلها . واشتغل ايضاً في الكيمياء النباتيَّة ووسَّع بذلك نطاق الفلاحة والعلوم الزراعيَّة . ولم ينقص هذا الرجل الهمام سوى معرفة خالقهِ فانهُ تربّى خارجاً عن الدين فجهل ما كان حقُّهُ ان يقدّمهُ على كل علم

﴿ استحضار النشا ﴾ النشا احد الاجسام التي تدخل في استحضار عدَّة مركبات صناعيَّة وكان العلماء يستخرجونهُ سابقاً من النباتات واثمارها لاسيما الحبوب والبطاطا . وقد تمكَّن احد الالمان اسمهُ بُرْنر (A. Borner) من استخراجهِ من نشارة الخشب ورذالة العيدان ومن الاعشاب وغيرها . فانهُ يعمد الى ما تحتويهِ هذه الاجسام من المادَّة الخلويَّة (cellulose) الداخلة في تركيبها فيُعمل فيها الصودا او البورق او بعض الحوامض المعدنيَّة المتنوعة بالماء . فيحصل بذلك على صفوة فيها النشأ واجسام غريبة كالراتينج وغيرها ثم يجعل فيها ملح الطعام فتتلاشى تلك الاجسام النافلة ويرسب النشأ

﴿ صابون البترول ﴾ وجد الكيموي ديهاي (Deshayes) طريقة اقتصادية لاستحضار الصابون . فانهُ يجعل في حلة كبيرة ٢٠ كيلوغراماً من زيت الشحم او الدهن فيساط مدَّة ثمَّ يُصبّ فيهِ ٢٠ كيلوغراماً من البترول بعد مزجهِ مع صفوة من الصودا تبلغ ٢٤ كيلوغراماً فاذا اختلطت هذه الموادّ اختلاطاً حسناً صُبّت في قوالب خاصَّة فتلوَّن بالالوان او تُعطَّر بانواع العطر . ولهذا الصابون خواصّ عديدة لتنظيف الجلد وتليين البشرة

﴿ الاستدلال على المعادن ﴾ يقتضي وجود المعادن في كلّ بلد ابحاثاً متوالية وربَّما خُدعَ الباحثون عنها بظواهر لا طائل تحتها فحفروا الحفريّات المتعدّدة دون ان

يظفروا بالمأمول · واليوم وجد الامركيُّون واسطة حسنة للاستدلال على المعادن في بطن الارض باستعمال فنّ الفوتغرافيَّة· وقد بنوا اختباراتهم على هذا المبدإ الذي شاع في زماننا وهو انَّ للمعادن قوَّة إشعاع تنفذ في الجماد وتؤثر في الصفائح الفوتغرافيَّة· ومن ثم عمدوا الى صفائح طلوها بطلاء حسَّاس مُشعّ وجعلوها في اوعية مقفلة لا يمسّها النور ووضعوا الاوعية في الامكنة التي يريدون الوقوف على معادنها· فتحقَّقوا انَّ لكل معدن اثرًا خاصًّا في الصفائح وانَّ هذا الاثر يزيد جلاء على قدر كميَّة المعدن وشكله وسرعة نقله للكهرباء· ولا بدَّ ان هذه الاختبارات ستتحسَّن وتفتح للانسان بابًا واسعًا لتعدين المعادن لاسيما الثمينة منها او الكثيرة الفوائد

٣ً الطب

❊ فائدة بعض العناصر السامَّة ❊ لا يجهل احد فعل السموم في جسم الحيوان فانها تفتك بهِ وتودي بحياتهِ بعد قليل· على انَّ الكيمويين قد درسوا خواصّ بعض هذه السموم وامتحنوا فعلها في خنازير الهند والدجاج وغيرها فخلطوا بطعامها كميَّات زهيدة من الزرنيخ والفسفات وكلاهما من السموم القتَّالة فليس فقط لم تمُت بل وجدوها بعد مدَّة قليلة اقوى منها واكبر حجمًا من ذي قبل· حتى بلغت ضعف وزنها السابق بعد خمسة او ستَّة اشهر· امَّا قدر هذه السموم فما كان يتجاوز ملغرامًا واحدًا في النهار وقد اختبروا ذلك في الانسان الضعيف المزاج والمهزول الكسيح فاشتدَّت بنيتهُ· وكذلك لحظ الاطبَّاء انَّ بعض الامراض تعصى على كل الادوية وربَّما شفيت بقليل من العقاقير السامَّة· فسبحان الذي جعل الشفاء في ما يسبّب الموت غالبًا

❊ الكحول والجنون ❊ للكحول والمشروبات الروحيَّة فعلٌ سيّئ في جهاز الانسان فانَّها ليس فقط تؤثر في عقل شاربها بالسكر والثمل الوقتيّ لكنَّها ايضًا تضعف قواه العقليَّة وتودي بهِ عاجلًا آجلًا الى فقد الشعور· وممَّا تبيَّنهُ بالاحصاء المدقّق مدير مستشفيات فرنسة المسيو ميرمان (M. Mirman) لا يبقي ريبًا في الامر· فانهُ في آخر السنة المنصرمة احصى عدد المجانين الذين في المستشفيات العموميَّة فكان عددهم ٧١,٥٤٧ فقدوا عقولهم لعلل شتى لكنَّ معظمهم قد اصيبوا بهذا الداء العُضال لادمانهم على المسكرات وهم يبلغون ٩,٩٣٢ بين ذكور واناث فيكون عددهم

بالنسبة الى المجموع نحو ١٤ في المئة. وناهيك بهذا العدد دليلًا لامعًا على سوء مفعول المشروبات الروحيَّة في اشرف قوى الانسان المميّزة له عن العجماوات

﴿ المكروبات ودواجن البيوت ﴾ في اكثر بيوت الخاصّة حيوانات داجنة كالقطط والكلاب وبعض الطيور المطربة الاصوات. وهذه الحيوانات تعيش في صحبة الانسان تألفهُ ويألفها ويحنُّ عليها ولا حنان الامّ على ولدها. وممَّا تقرَّر اليوم لدى الاطبَّاء وعلماء الطبيعة انَّ هذه الحيوانات تنقل للانسان عدَّة امراض وبيئة من حيث لا يدري. وسبب ذلك انها تتجوّل في البيوت وخارجًا عنها وتدخل في امكنة تكثر فيها الميكروبات وتألف حيوانات أُخرى موبوءة فتعود الى بيوت اصحابها وفيها جراثيم امراض عديدة فيمسُّها اصحابها ويجعلونها في حجورهم ويقبّلونها فينالهم بذلك شيء من جراثيمها. وقد عدَّد آخرًا الدكتور بلانشار (R. Blanchard) ستين حادثًا من داء الدودة الوحيدة كان اصلها ملامسة كلاب او قطط داجنة. وكذلك الخناق فانَّ الدكتور المذكور بيَّن بشواهد عديدة انَّ هذا الداء اصاب اطفالًا صغارًا بواسطة الحيوانات البيتيَّة. فعلى اصحاب البيوت اذن ان يراقبوا حيوانات البيت ويحسنوا غسلها ولا يدعوا اولادهم يبالغون بالفتها

﴿ الاوتوموبيل وصحَّة راكبه ﴾ قد شاع استعمال الاوتوموبيل شيوعًا غريبًا حتى كادت هذه العجلات تغلب على سواها في انحاء اوربَّة وحواضرها. ففي لندن وحدها بلغ عدد ركاب الاوتوموبيل ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠ في السنة الماضية. وكان الاطباء يتساءلون عن تأثيرها في صحَّة راكبيها الذين يقطعون فيها مسافات بعيدة مدَّة بضعة أيام. فكان البعض لا يرون موافقتها لصحَّة الضعفاء الدم والمصابين بالهزال العصبيّ وغيرهم يستحسنونها فعمد العلامة مونيرات (Mouneyrat) الى فحص الامر بالتدقيق فوجد انَّ دم المسافرين على الاوتوموبيل يغنى بالكرَيّات الحمراء والهيموغلوبين الدالَّة على صحَّة الاشخاص. فعدد الكريَّات الحمراء واذا هي قد زادت الى مقدار مليون ونصف بعد سبعة او ثمانية أيام على ما كانت في اوَّل السفر وكذلك الهيموغلوبين كانت تتوفَّر بنوع محسوس. وفي الوقت ذاته كانت شهوة الطعام تتزايد والنوم يصبح قانونيًا منظَّمًا. فهذا دليل على انَّ ركوب الاوتوموبيل مفيد جدًا للصحة ويقوم مقام الصعود الى مشارف الجبال لنظافة هوائها

الجغرافية

﴿ الطواف حول الارض ﴾ لمَّا صنَّف الراوية جول ڤرن سنة ١٨٧٣ كتابهُ المعنون الطواف حول الارض في ٨٠ يوماً حسب القرَّاء روايتهُ الخياليَّة صنفاً من الاقاصيص المستطرفة التي لا تتحقَّق في الواقع الَّا بعد الزمن الطويل. واليوم قد نسي القوم تلك القصَّة واذا ما طالعوها عدُّوا صاحبها مقصراً اي تقصير. وفي ايَّار الماضي طاف احد ضبَّاط الانكليز حول الارض بنصف هذه المدة والضابط المذكور يُدعى برنلي كمبل (Burnley Campbell) ابحر من ليفربول في ٣ ايَّار راكباً اسرع المراكب الانكليزيَّة الى كندا فبلغ كيبك في ١٠ منهُ وفي يومه ركب قطار السكة الحديديَّة التي تقطع بلاد كندا على طولها فحلَّ مدينة ڤان كوڤار في ١٤ منهُ ثم نقلته باخرة يابانيَّة الى يوكوهاما فنزلها في ٢٠ ايَّار وفي غدٍ اقلَّهُ القطار الى تسارنغا فوصلها في ٢٨ منهُ وابحر المساء الى فلاديوستوك فارست السفينة عندها في ٣٠ بعد ان اصابت هناك صخوراً كادت تحطمها وتؤخر الرحَّالة عن سفره. وفي مساء ذلك النهار ركب القطار الذي يمرُّ بخربين ثم قطع صحاري سيبارية فكان وصول القطار الى اركوتسك في ٤ حزيران والى موسكو في ١٠ منهُ والى ڤرسوڤيا في ١١ والى برلين في ١٢. وقطع في ١٣ مضيق المَنش من اوستند فحط عصا التسيار في دوڤر وكان طوافهُ حول الارض دام ٣٩ يوماً و١٩ ساعة ونصف

﴿ البعثات الجغرافيَّة ﴾ كانت البعثات العلميَّة الجغرافيَّة في هذه السنة اكثر منها في السنين الماضية. فممَّن ساحوا في افريقية المسيو شوڤاليه طاف ساحلها الغربي المعروف بساحل العاج وقد تجوَّل في غابات تلك البلاد التي لا تقلُّ مسافتها عن ٦٠,٠٠٠ كيلومتر وفيها من الاشجار العاديَّة الغريبة ما يمكنهُ ان يُغني بلاداً واسعة ومن هذه الاشجار ما هو عزيز الوجود في بلاد أُخرى تصلح للآنية الثمينة ومنها اشجار مثمرة لا توجد في غيرها

ومن بعثات افريقية بعثة الدكتور غوستاف مرتين للبحث عن مرض النُّوام الفاشي في اواسط افريقية في عدة بلاد منها. فتعرَّف اسباب المرض واحوال البلاد ومستنقعاتها وهواءَها لاسيما الذبابة الناقلة للمرض المعروفة بتساتسي. وجرَّب الادوية في المصابين

بالنوام ووجد انَّ لدواء الاتوكسيل فعلًا شافيًا لذلك الداء. وعمَّا قليل سيضع كتابًا موسَّعًا في رحلتهِ ونتيجة ابحاثهِ

وكذلك عاد من اواسط افريقية المسيو فولبورن (Füllcborn) بعد ان ساح مدَّة ثلاث سنوات في جهات نهري نياسا وروفوما وما بينهما من المستعمرات الالمانية فوصفها احسن وصف وبيَّن طباع اهلها واحوالها الزراعيَّة وغلَّاتها وجبالها وبراكينها ومعادنها وخصوصاً الحديد الذي يكثر في تلك البلاد. وقد وجد فيها حمَّامات طبيعيَّة معدنيَّة تصلح لامراض شتى

وفي هذه السنة انجزت بعثة أُخرى انكليزيَّة ابحاثها في البلاد التي يجري فيها نهر النيجر وتوغَّلت في جهات بحيرة تشاد فدرستها درساً مدقَّقاً من كل وجوهها وقد مُنيت تلك البعثة بدواهي مختلفة وفقدت كثيرين من اصحابها لكنَّها رجعت فائزةً الى انكلترَّة بعد سنتين

ومن الرحل الموجَّهة الى جهات آسية رحلة الدكتور وركمان (Workman) الذي اراد ان يصعد الى جبال حملايا. وكلٌّ يعرف ان تلك الجبال من اعلى جبال المعمور موقعها في بلاد الهند. وكان اتَّخذ الرحَّالة المذكور قفلًا صغيرًا يتركَّب من دليل وطنيّ وستة حمَّالين ايطاليين وبعض الخدم فرحلوا من بومباي على السكَّة الحديديَّة ثم قطعوا ٣٠٠ كيلومتر على عجلة ثم صعدوا الجبل مدَّة ١٩ يومًا فبلغوا علوَّ ١٩,٠٠٠ قدم فلاقوا امامهم جبالًا تراكمت عليها الثلوج وغطَّاها الجليد الصلب. ثم واصلوا سيرهم رغمًا عمَّا وجدوهُ من المشقَّات مستعينين بالآلات والقاطع والمجارف. وقد وجدوا على علوّ الف قدم الى ١٢٠٠ قدم قبائل من التتر ترعى المواشي وتزرع الزروع وتسكن في سراديب مع قطعانها. وفي علوّ ١٤٠٠ قدم انقطعت عنهم آثار الحيوان الَّا بعض الغربان وصنفًا من الحجل البريّ ذي منقار ومخالب حمراء. ثم بلغوا الى انجاد متَّسعة كان علوّها ٢١,٣٠٠ واعتلوا الى قمَّة جبل يُدعى «شوغو لُنغا» كان مرتفعهُ ٢٣,٣٩٠ قدمًا وهي اعلى نقطة بلغوها وكان هناك الهواء متخلِّلًا لا يكاد الانسان يتنفَّس من سببهِ. ولذلك اضطرُّوا الى النزول بعد ان دوَّنوا كل تفاصيل رحلتهم

٦ً الاثار القديمة

لا نتَّسع كثيرًا في هذا الباب وقد افدنا قرَّاء الشرق حينًا بعد آخر عمَّا يكتشفهُ

ارباب العاديّات. واوّل ما ينبغي ذكرهُ الآثار الحثيَّة التي توفَّق الى اكتشافها العلّامة فنكلر كما سبق لنا وصفها (١٢٢٦:٩ - ١١٢٦). وكذلك اشرنا الى حفريّات تونس النصرانيَّة (ص ٥٧٥). مع ما وجدهُ حضرة الاب ديلاتر من المدافن في قرطجنَّة. ثم تناهت بعد ذلك الاخبار وعلمنا بالمسرَّة انَّ الأثريّ المذكور حظي بما هو اجلّ واعظم من ذلك فانهُ وقف على آثار كنيسة ملكيَّة ترتقي الى عهد قسطنطين الكبير وفي هذه الكنيسة كان الناووس الذي جُعلت فيهِ ذخائر القديستين برباتوا (خالدة) وفليسيتاس (سعيدة) الشهيدتين سين عُرضتا على السباع في السنة ٢٠٣ للمسيح فماتتا في سبيل ايمانهما ميتة مجيدة وكانت خالدة سيدة شريفة وسعيدة أمتها. وقد قُتل معهما عدد من الشهداء. والاب ديلاتر قد وجد قطع الناووس المذكور مع الكتابة المثبتة باسماء الشهيدتين ورفقتهما. فكان لهذا الاكتشاف احسن وقع لدى محبّي الآثار النصرانيَّة

وقد ألمحنا ايضاً في العدد السابق الى اكتشافات المسيو كلرمون غانو للآثار الآراميَّة في اسوان عند جزيرة أليفنتين. وقد لقي ما عدا العاديّات الاراميَّة آثاراً اخرى مصريَّة غاية في الخطر منها تمثالان كبيران عليهما كتابات مهمَّة من عهد تحوتمس الثالث. وكذلك اكتشف معبداً مزيَّناً بالمسلّات ومحتوياً لموميا عدد وافر من الكبوش المحنَّطة والمكفَّنة باكفان ذات تصاوير وكتابات غريبة. وكان هناك ايضاً آثار خزفية عليها كتابات ترتقي الى الدول القديمة ومنها ما كان من عهد اليونان ثم الرومان ثم العرب. والمسيو كلرمو غانو سوف يعود الى هذه الدفائن المكنونة ليستخرج ما لم يسمح له الوقت من ابرازهِ — راجع ايضاً ما ذكرنا عن آثار اخرى مصريَّة (ص ١٤٣)

مطبوعات شرقيّة جديدة

P. Renaudin O. S. B.: L'ASSOMPTION DE LA S^te^ VIERGE (Collection « Science et Religion »). *Bloud et C^ie^*, 1907, pp. 63.

انتقال العذراء مريم

انَّ انتقال العذراء الى السماء في نفسها وجسمها لمن الحقائق التي يتَّفق فيها النصارى شرقاً وغرباً ولم يشكّ فيها قطّ احد المبتدعين. ولذلك لم ترَ الكنيسة حاجةً

الى اثباتها بسلطتها السامية في جملة العقائد التي لا ينكرها الجاحد الَّا تحت عقاب الخطإ المميت والانقطاع عن شركة المسيحيين . نعم انَّ هذه الحقيقة لا اثر لها في الانجيل الطاهر وفي كتابات الرسل الَّا أنها مبنيَّة على دعائم متينة واركان ثابتة كالتقليد المتواتر الراقي الى قرون النصرانيَّة الاولى وكشيوع هذا الامر بين فرق النصارى المتباينة هذا فضلاً عن الآثار القديمة والادلَّة العقليَّة التي تزيل ريب كل مرتاب . فنعم ما فعل حضرة الاب البندكتي رنودان اذ جمع في كتاب صغير الحجم كثير الموادّ ما يختصّ بهذه الحقيقة فنشكرهُ الشكر الحميم ونحضُّ القرَّاء على مطالعة كتابهِ فانهُ يغنيهم عمَّا سواهُ في هذا المعنى ل . ش

Ed. Schuré: SANCTUAIRES D'ORIENT: *Egypte*, *Grèce*, *Palestine*. 3e édit., Paris, Perrin in-12°, VII-436 p.

اقداس الشرق

ان من يطالع هذا الكتاب ينبهر من حسن قالبهِ وبديع انشائهِ وجودة تعبيرهِ فيتأكد ان مسطّرهُ من ارباب القلم المعدودين . الَّا انَّ وراء هذا الثوب القشيب جسماً سقيماً وتحت رونق الالفاظ معاني سخيفة . كيف لا وترى للمؤلف مزاعم غريبة واقوالاً مستهجنة تنقض اصدق الحقائق الدينيَّة وتبخس اثبت الحقوق الادبيَّة . فانَّ كاتبهُ تجوَّل في انحاء مصر واليونان وفلسطين لا ليتَّعظ بما يشاهدهُ فيها او ليبحث عن آثارها السالفة بل ليبني على ما صوَّرتهُ لهُ مخيّلتهُ بناء خيالياً كأنَّهُ وهمٌ وضلال فجاء كتابهُ اقرب الى اساطير الاوَّلين منهُ الى تأليف رجل عاقل ارشدهُ الله الى سواء السبيل ل . ج

A. S. G. Jayakar: Ad-Damîri's Ḥayât al-Ḥaywân (a Zoological Lexicon) translated from the Arabic, Vol. I, *London*, *Luzac and Co*, 1906 pp. 876.

ترجمة انكليزيَّة لحياة الحيوان للدميري

ليس في وصف الحيوان عند العرب كتاب اوسع وادقّ من حياة الحيوان للدميري فأكثروا من نسخهِ واختصروهُ وزادوا عليهِ الحواشي . وقد طُبع غير مرَّة في بولاق مصر وفي العجم الَّا انَّ طبعهُ سقيم كثير الاغلاط . ومنهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخةٌ

مخطوطة حسنة . وقد شُغف بهذا التأليف الكولونل جايكار احد اساتذة كليّة بماي بالهند فنقلهُ الى الانكليزيّة ليقرّب فوائدهُ من الاوربيّين وهذه الترجمة في الغالب مدقّقة الّا بعض المحالّ وجدنا صاحبها شرد فيها قليلًا عن المعنى . ومن المعلوم انّ في تأليف الدميري اشياء كثيرة تُعدّ اليوم من الخرافات فاهمل المترجم معظمها لئلّا يزيد في حجم الكتاب دون نفع وقد عوّض عن ذلك بفوائد اخرى اعمّ واجلّ فمن ذلك انهُ كتب بحرف عربيّ اسماء الحيوان لئلّا يبقى في رسمها ريب وكذا فعل في الاسماء الغريبة كما انّهُ دوّن المصطلحات العاميّة التي اتّفق عليها العلماء في اللاتينيّة لتعريف اجناس الحيوان . فنحضّ محبّي العلوم العربيّة وآثارهم القديمة ان يقتنوا هذا الكتاب ويقتبسوا من فوائده

ل . ش

Th. G. Pinches: THE RELIGION OF BABYLONIA AND ASSYRIA. (« Religions ancient and modern »), *Foolocap*, 8°, 126 pp., 1906, *London*, *A Constable and C°*.

ادیان بابل واشور

انّ التآليف التي يصنّفها كبار العلماء لا تصلح في الغالب لعموم القرّاء لتوفّر ابحاثها العويصة التي لا يدركها غير الافراد . ولذلك قد تشكّلت في الغرب عدّة جمعيّات لنشر خلاصة ابحاث العلماء في كل فنّ فمن ذلك شركة انقطعت لتأليف مصنّفات في الديانات التي غلبت على البشر (Great Religions) . وهذه التآليف يقوم بها رجال مبرّزون يحسنون معرفة ما يسطّرونهُ . ومثال ذلك كتاب وضعهُ العلامة بنشس احد علماء الآثار الاشوريّة في اديان بابل واشور جمع فيهِ ما جاء في التاريخ وفي الاكتشافات البابليّة عن دين البابليين وقسّم ذلك الى عدّة فصول بحث فيها عن اصل الدين في تلك البلاد وعن آلهة الاشوريين وخواصّهم وعن الرتب الدينيّة التي اعتادوها . ثمّ اتّسع ايضًا في تعريف الآثار الدينيّة المتشابهة التي ورد ذكرها في اخربة بابل وفي الاسفار المقدّسة كوحدة الاله وتكوين العالم والحياة الاخرى بعد الموت . وممّا نأخذهُ على الكاتب انهُ يرجّح قول مواطنيهِ دليتش (F. Delitzsch) في انّ ابراهيم الخليل اخذ التوحيد من البابليين وهو قول بلا سند تردّهُ الادلّة العقليّة والنقليّة معًا

س . ر

شذرات

اعلى دار في المسكونة عمّا قليل تنجز مدينة نيويرك اعلى دار للسكنى تُعرف في العالم يكون علوّها ١٨٦ مترًا وطبقاتها ٤١ يُصعد اليها بستّ عشرة آلة مُصعدة امّا صورتها فعلى صورة برج مربَّع تكسير جوانبهِ ٦٥ قدماً مربعاً. ويكون ثقل المواد المستعملة لهذا البناء العظيم ٢٣,٠٠٠ طنّ اعني ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام. وقد جُعلت لهذه الدار دعائم واسناد تقيها من هبوب الرياح وحركات الزلازل وبُنيت حولها ابنية زيادةً في حسنها منها قبّة عالية كمثل قبّة مار بطرس في رومية وكتمثال للحريّة يوفي على البحر علوّهُ ٩٢ مترًا وفي يد التمثال مصباح فخيم يوقد كالمنارة ليلًا

نقل المأكولات المجمَّدة اصبح نقل المأكولات المجمَّدة شيئاً مألوفاً في كل انحاء اوربّة واميركة. فلو زرتَ كلَّ صباح اسواق لندن امكنك ان تبتاع اصناف اللحوم المرسلة من اميركة وبيض روسيَّة وزبدة كندا وطيور استراليـة وفواكه البلاد الحارَّة. وكل ذلك يُرسل في ادوات كبيرة مجمَّدة فتصل الى غاياتهـا سليمة طيّبة دون ان يؤذيها الحرّ. وفي لندن محطَّة كبيرة تُجعل فيهِ هذه المجمَّدات تدعى «ڤكتوريا دوكس» (Victoria Docks) فيهـا عادة نحو ٤٠٠,٠٠٠ هيكل حيوانيّ من اجناس الحيوانات المأكولة

فلكي شهير فقدت العلوم الفلكيَّة في اوائل تموز احد علمائها المعدودين الاب كرل برون (C. Braun) اليسوعيّ. درس المذكور على الاب سكّي الفلكيّ الشهير في رومية ثم وُلّي ادارة مرصد كالوتشا (Kalocsa) في المجر فبلّغهُ مبلغ اكبر مراصد اوربّة. ولهُ من التآليف والاكتشافات والرصود المتعدّدة ما نظمهُ في عداد العلماء المبرّزين في عهدنا

الكاوتشوك قد حسبت احدى المجلات العلميَّة جملة ما يُباع في العالم من الكاوتشوك فبلغ في السنة ١٩٠٦ ٦٨,٠٠٠ طنّ يستخرج اكثرهُ الاميركيون الذين باعوا منهُ ٤٢,٠٠٠ طنّ. واغنى البلاد بالكاوتشوك البرازيل التي تبلغ غلّتهـا ٤١,٠٠٠ طنّ يليها بلاد الكنغو وغينية الفرنسيَّة وكلتاهمـا تغلّ ٤,٥٠٠ طنّ ثم انغولا ١,٢٥٠ ثم بوليڤية ١,١٠٠ ثم ساحل الذهب ١٠٠٠ الخ

اسئلة واجوبة

س سأل من مصر حضرة القس الفاضل يوحنا حمصي: ١ً أمقبول هو المجمع التريدنتيني في سوريَّة بخصوص قانون الزواج السرّي. ٢ً ان كان مقبولاً عند اللاتين وتزوَّج شرقي بابنة لاتينيَّة سرًّا هل يكون الزواج صحيحاً ام لا. ٣ً ايجوز لرجل كاثوليكي عقد زواجهُ لدى الحاكم المدنيّ ان يفسخ الزواج لايّ سبب كان

مسائل قانونيَّة في الزواج

ج لا يخفى ان المجمع التريدنتيني ابرز حكماً في بطلان الزواج وفساده اصلاً ان عُقد سرًّا دون حضور خوري الرعيَّة وشاهدين لكنَّهُ قضى ايضاً بانَّ هذا القانون لا ينال سوى الامكنة التي يُعلن فيها هذا الحكم شرعيًّا. والحكم المذكور قد أُعلن في سوريَّة للَاتين وقبلهُ ايضاً الموارنة في المجمع اللبناني. ومن هذا يتَّضح الجواب على السؤال (الاوَّل). ثم نجيب على (الثاني) انَّ الزواج السرّي اذا وقع بين لاتيني يلزمهُ قانون المجمع التريدنتيني وشرقيَّة لم يلزمها ذلك القانون والعكس بالعكس لا يبطل زواجهما الذي يُعدّ صحيحاً لأنَّ صاحب الانعام يشرك زوجهُ الآخر بانعامه. نجيب على (الثالث) انَّ زواج الكاثوليكيّ فاسد من اصلهِ فيقتضي فسخهُ ان كان الكاثوليكي مقيَّداً بحكم المجمع التريدنتيني امَّا اذا كان غير مقيد بذلك الحكم فانَّ الزواج المدنيّ كالزواج السرّي ثابت وان خطئ الذي عقدهُ على هذا النمط

س وسأل من غابون جناب المعلّم يوسف افندي غلبون هل يهلك ابن والدين مسيحيين سهوًا عن عماد ولدهما او اهمالاً عمدًا فمات دون عماد

هلاك الولد غير المعمَّد

ج نجيب على هذا انَّ الولد ان مات قبل البلوغ لم يحظَ بسعادتهِ الجوهريَّة وبرؤيا خالقهِ عزَّ وجلَّ وان لم يُقضَ عليهِ بالعذاب الحسي في اليمبوس. امَّا اذا كان بالغًا وعاش عيشة صالحة على مقتضى وصايا الله ووصايا كنيستهِ وهو لا يعلم بعدم عمادهِ فانَّهُ يخلص لأنَّ عيشتهُ تُعَدُّ لهُ بمثابة معموديَّة الرغبة التي تقوم مقام معموديَّة الماء لانهُ مستعدٌ ان يتمم كلَّ ما يطلبهُ منهُ الضمير لنوال الخلاص (اطلب الصفحة ٣٦٩–٣٧٠) ل. ش